

مطبوعات أخبار اليوم

تطال الثقافة

في روضة القرآن

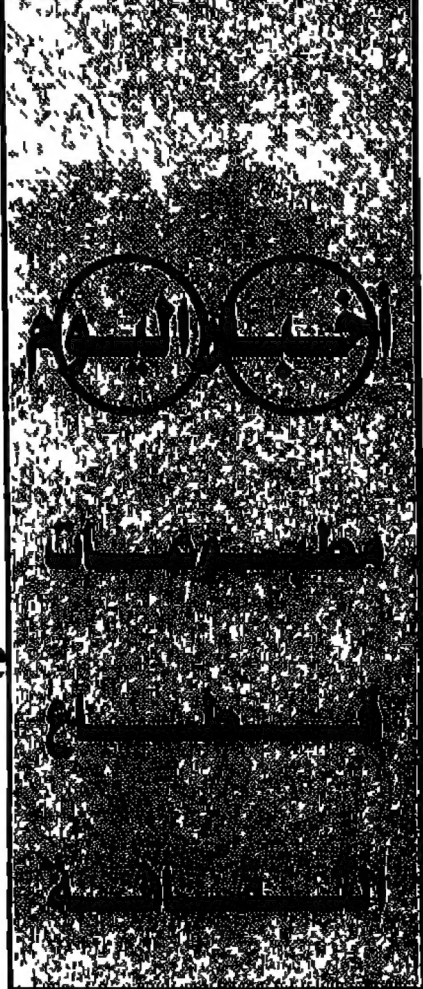
مكتبة

الرسول في القرآن الكريم

فضيلة الشيخ : محمد الراوي

رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم سعد

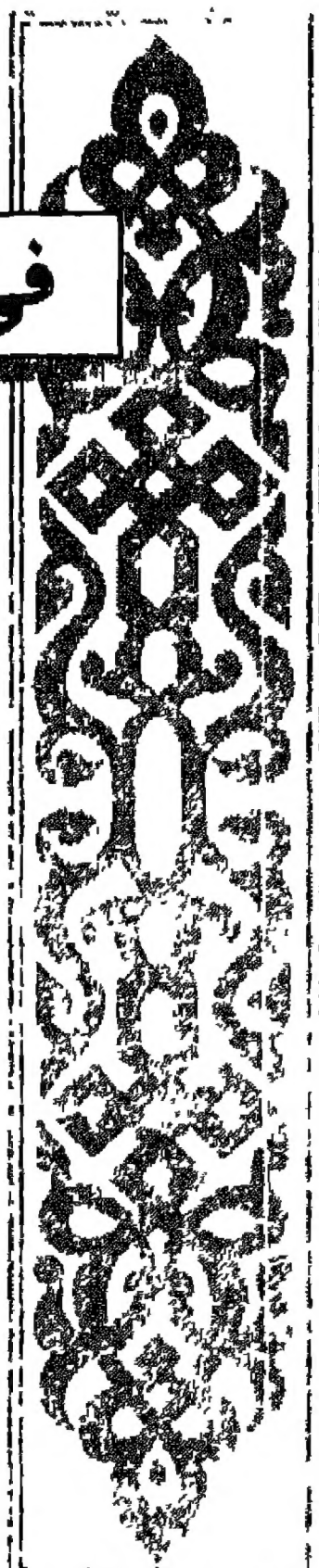


تصميم الغلاف والإخراج الفني

أشرف حسين

في روضة القرآن

تمهيد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا
مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ
وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَنَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾

(الشورى : ٥٢ ، ٥٣)

هنا نرى الرسول ﷺ يُخاطب من قِبَلِ اللَّهِ خُطَابَ حَاضِرٍ مُكْرَمٍ
بتوجيه الخطاب المباشر إليه ﷺ « أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ »
« مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ »
« وَإِنَّكَ لَنَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »
ونرى ضمير العظمة يتكرر في قوله « أَوْحَيْنَا » وقوله « رُوحًا
مِّنْ أَمْرِنَا »

وقوله « جَعَلْنَاهُ نُورًا » وقوله « نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا » .
وفي ذلك ما فيه من دلالة على عظمة المَوْحَى به والمَوْحَى إليه
فالمَوْحَى به من العليِّ العظيم رُوحٌ تحيا به القلوب
والمَوْحَى إليه رسولٌ له عند الله تعظيمٌ وتكريم
والغازل بالوحي هو الروح الأمين وهو ذو قوة عند ذي العرش

مكين

وجبريل عليه السلام وإن رأينا ما يدلُّ عليه في قوله « وكذلك أوحينا إليك ».

فقد جاء ذكره ووصفه في آيات تَرى فيها حقيقة الصِّلة بين مَنْ نُزِّلَ القرآنُ وَمَنْ نُزِّلَ به وَمَنْ نُزِّلَ عليه.

﴿ وَأَنَّهُ لَنَزَّلَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) ﴾

﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) ﴾

﴿ عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) ﴾ (الشعراء : ١٩٢ - ١٩٤)

فمَنْ نُزِّلَ القرآنُ هو الله ربُّ العالمين

وَمَنْ نُزِّلَ به هو الروحُ الأمينُ جبريلُ عليه السلام.

وَمَنْ نُزِّلَ على قلبه هو الصادقُ الأمينُ خاتمُ النبيين محمد ﷺ

وكفى أن يكون القرآنُ تنزيلَ ربِّ العالمين ليكون للعالمين نذيراً

وأن يكون النازلُ به هو الروحُ الأمينُ الذي كان ولياً لجميع

المرسلين

ليُعلم أن الدينَ عند الله واحدٌ وأن مَنْ نُزِّلَ به هو أمينُ الله

الذي أمره ربُّه أن يتنزلَ على جميع المرسلين

ولذلك قال ورقةُ بنُ نوفل عندما سمع من رسول الله ﷺ

ما سمع من أمر الوحي . قال : « هذا الناموس الذي أنزله الله على

موسى »

والناموس : هو جبريل عليه السلام

والناموس في اللغة : « صاحب سرِّ الخير »

والجاسوس : « صاحب سرِّ الشر »

وقد سمي جبريل عليه السلام بذلك لأن الله تعالى قد خصه
بالغيب والوحي وورقة بن نوفل إنما علم ذلك مما نزل في كتب
الله من قبل كما علم سنة الله في المرسلين . وكان امرءاً قد تنصّر
في الجاهلية.

حيث قال - عندما قالت له خديجة رضى الله عنها اسمع من
ابن أخيك :

قال ورقة بن نوفل : يا ابن أخى ! ماذا ترى ؟
فأخبره رسول الله ﷺ خبراً مارأه.

فقال له ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ﷺ .
يأليتنى فيها « جَذَعًا » . يَأْلِيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يَخْرُجُكَ قَوْمُكَ :
قال رسول الله ﷺ : « أَوْ مُخْرَجِيَّ هُمْ » ؟

قال ورقة : نعم . لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عورى .
سنة الله في المرسلين واحدة ، ودينهم واحد . وجبريل هو
الناموس الذى أنزله الله على محمد ﷺ كما أنزله على جميع
المرسلين من قبل والكيد لهم هو الكيد . والعداء هو العداء لجميع
الأنبياء .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴾ (٣١) ﴿ (الفرقان : ٣١)

﴿ سَنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ (٧٧) ﴿
(الإسراء : ٧٧)

فى روضة القرآن

الرسول فى
القرآن الكريم

لا غرابة أن ترى الرسول ﷺ فى كل آية من آيات القرآن الكريم وأنت تستحضر هذه الصلة بين من نزل القرآن ومن نزل به ومن نزل عليه.

تراه ﷺ وهو يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وجبريل يُقرئه فيتبع قراءته فى كل كلمة من كلمات القرآن فلا يغيب عنك حضور جبريل عليه السلام كما لا يغيب عنك حضور الرسول عليه الصلاة والسلام فى كل آية من آيات القرآن وهذا الاستحضار لازم لمن أراد أن يتدبر القرآن.

لأنه الإعجاز الذى يُعرف به كيف حفظ القرآن وكيف تلقاه الرسول ﷺ ولم يكن يدرى من قبل ما الكتاب ولا الإيمان. وما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه.

وأي إعجاز أبين من ذلك وأنت ترى الرسول ﷺ قد جمع القرآن فى صدره بتلاوة جبريل عليه وجمع الله له.

أي إعجاز أبين من ذلك وأنت ترى الوحي يأتيه ثم يُسرّى عنه فيقرأ ويُملى ما ألقى عليه طالت الآيات أو قصرت.

عن زيد ابن ثابت رضى الله عنه قال: إني قاعدٌ إلى جنب النبي ﷺ يوماً إذ أوحى إليه وغشيتة السكينة ووقع فخذه على فخذي حين غشيتة السكينة قال زيد: فلا والله ما وجدت شيئاً قط أثقل

من فخذ رسول الله ﷺ ثم سرى عنه فقال : اكتب يا زيد «
هكذا كان يتلقى رسول الله الوحي وكانت تلك شدته : قالت
عائشة رضي الله عنها - وهي تصف حال رسول الله ﷺ حين
ينزل عليه الوحي - « وَقَدْ رَأَيْتَهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ
فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا ».

من الذي أقراه وجمع له القرآن في صدره وقد كان ﷺ يبادر
جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصاً على الوحي
وشفقة على القرآن مخافة النسيان فنهاه الله عن ذلك وأنزل «ولا
تعجل بالقرآن» أي بقراءته « قبل أن يقضى إليك وحيه ».

إن الله قد تكفل له أن يجمعه في صدره وأن يُيسرُ لأدائه على
الوجه الذي ألقاه إليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه.

وقد كان ﷺ يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته فأمره
الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له.
وذاك ما كان منه ﷺ .

« فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب جبريلُ قراه
كما وعده الله عز وجل حيث قال :

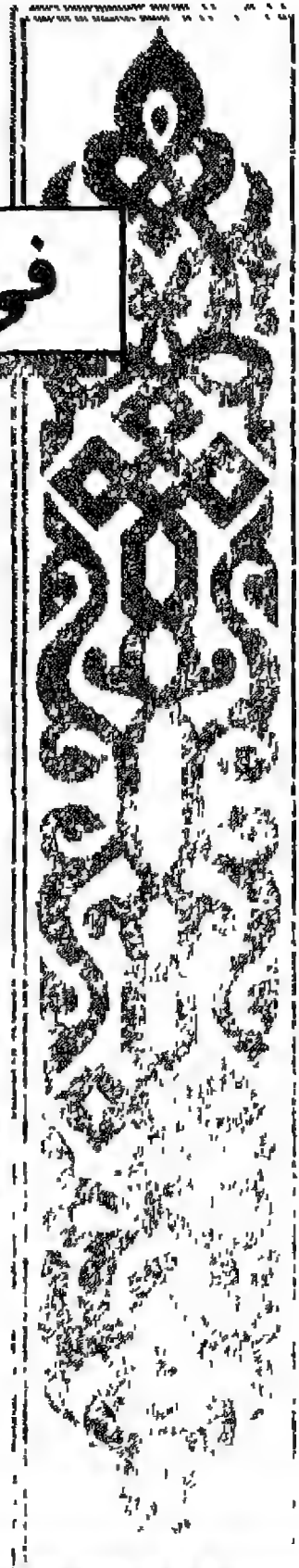
﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا
قُرْآنُهُ قَاتِعٌ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) ﴾ (القيامة : ١٦ - ١٩)

to: www.al-mostafa.com

to: www.al-mostafa.com

في روضة القرآن

القرآن الكريم
يصف لنا
الروح الأمين



لنعلم أن أحدا لم يستطع ولن يستطيع أن يغالب القرآن
ولنتدبر دلالة القسم والمقسم عليه فى قوله تعالى :

﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُنُوسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُوسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧)
وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقى
الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَدٍّ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥)
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) ﴾ (التكوير : ١٥ - ٢٧)

إن المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه يمكن إدراكها اذا تبينا
دلالة ما جاء فى القسم أولا من كلمات :

« فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ » : وهى النجوم : تخنس
بالنهار وتظهر بالليل

والليل إذا عسعس : أدبر أو أقبل . أَقْسَمَ بالليل وظلامه إذا أقبل
وبالفجر وضيائه إذا أشرق « والصبح إذا تنفس »
يُقَال للصبح إذا زاد « تنفس »

ومعنى التنفس : خروج النفس من الجوف واستعماله فى
الصبح دلالة حركة وحياة تُرى فى الأشياء كما تُرى فى الإنسان .
وفى تنفس الصبح حركة حياة تدب فى كل شئ ومن رأى الفجر
لم تغب عنه دلالة إسناد التنفس إليه .

وهذا الإسناد قد قيل فى كيفية المجاز فيه قولان :

الأول : أنه إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفساً له على المجاز فقليل تَنَفَّسَ الصَّباحُ»

الثانى : أنه شَبَّه اللَّيْلَ المَظْلَمَ بالمَكْرُوبِ المَحْزُونِ الَّذِي حُبِسَ بِحَيْثُ لَا يَتَحَرَّكُ فَإِذَا تَنَفَّسَ وَجَدَ رَاحَةً وَمَهْنَهَا لَمَّا طَلَعَ الصَّبْحُ فَكَأَنَّهُ تَخَلَّصَ مِنْ ذَلِكَ الْحُزْنِ فَعَبَّرَ عَنْهُ بِالتَّنَفُّسِ.

ذاك هو القسم على طبيعة الوحي ، وصفة الرسول الذى يحمله والرسول الذى يتلقاه.

إنه قسم لا يخلو من تناسب بينه وبين المقسم عليه

تناسب لا ينقضى عجب المتأمل فيه

فالمقسم به حقائق كونية ذات تأثير بالغ فى حياة كل شئ والمقسم عليه حقائق نورانية يبصر بها الانسان حقيقة كل شئ المقسم به ترتفع به الرؤوس إلى أعلا لتراه أولاً فى السماء والمقسم عليه ترتفع به النفوس عن الخلود إلى الارض واتباع الأهواء

المقسم به فيه إقبال صبح وإدبار ليل . فيه نور وظلام

والمقسم عليه فيه إخراج للناس من الظلمات إلى النور

«إنه لقول رسول كريم» يعنى إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم أى ملك شريف حسن الخلق بهى المنظر وهو جبريل عليه السلام كما قال ابن عباس رضى الله عنهما «ذى قوة» أى شديد

الخلق شديد البطش والفعل.

(عند ذى العرش مكين) أى له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة مطاع ثم أمين» أى له وجهة وهو مسموع القول مطاع فى الملا الأعلى «مطاع ثم» أى فى السموات يعنى ليس هو من أفئدة الملائكة بل هو من السادة والأشراف معتنى به انتخب لهذه الرسالة الرفيعة.

« أمين » صفة لجبريل بالأمانة وهذا عظيم جداً أن الرب عز وجل يزكى عبده ورسوله الملكى جبريل.

كما زكى عبده ورسوله محمداً ﷺ بقوله تعالى : «وما صاحبكم بمجنون» والمراد بقوله «وما صاحبكم بمجنون» محمد ﷺ.

وقوله «ولقد رآه بالأفق المبين» يعنى ولقد رأى محمدٌ جبريل الذى يأتية بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح « بالأفق المبين » أى البين.

وقوله « وما هو على الغيب بضنين » أى وما محمد على ما أنزله الله إليه ببخيل بل يبذله لكل أحد (وما هو على الغيب بضنين) أى بمثلهم قال سفيان بن عيينة ظنين وضنين سواء أى ماهو بكاذب وما هو بفاجر والظنين المتهم والضنين البخيل.

وقال قتادة : كان القرآن غيباً فأنزله الله على محمد فما ضنن به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده.

وقوله «وما هو بقول شيطان رجيم» أي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم أي لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له كما قال الله عز وجل:

﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ (٢١٢) ﴾ (الشعراء : ٢١٠ - ٢١٢)

وقوله «فما ين تذهبون» أي عن كتاب الله وعن طاعته أو فإين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقاً من عند الله وقوله تعالى «إن هو إلا ذكر للعالمين» أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون.

تلك طبيعة الوحي وصفة الرسول الذي يحمله والرسول الذي يتلقاه.

إن الصفات التي أجراها الله على جبريل في هذه الآيات البينات ليست بمعزل عن صفات الرسول ﷺ وبيان ما أنزل عليه وقد أجرى الله على نبينا ﷺ صفات في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٤٥) وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُبِيناً (٤٦) ﴾ (الاحزاب : ٤٥ - ٤٦)

فإفراد أحد الشخصين بالذكر وإجراء صفاته عليه لا يدل على انتفاء تلك الصفات عن الآخر.

والتواصل قائم بين من نزل بالقرآن ومن نُزل عليه فإذا وصف جبريل فاعلم أنها صفات حق وصف بها جبريل ليعرف قدر الحق الذي نزل به والذي أنزل عليه.

وإذا وصف الرسول ﷺ بصفات فاعلم أنها صفات حق لبيان خصائص الحق فى نفعه ومكثه وبقائه وقد نزل به أمين الله على رسول الله.

والحق نور تقوم به الحياة وحبلٌ واصلٌ من السماء يعتصم به الأحياء.

ويرتفعون به عن الخلود إلى الأرض واتباع الأهواء.
«الحق من ربك»

ومن أجله خلق الله السموات والأرض وأرسل الرسل وأنزل الكتاب

ومن أجله تنزل جبريلُ بأمر ربّه على محمد وعلى جميع الرسل والأنبياء ومن أجله يقع الحساب ويكون الجزاء وينعم فريق فى الجنة ويشقى فريق فى السعير.

إن هذه القوة والمكانة التى وصف بها جبريلُ وهو يغدو ويدور بين السماء والأرض فى سرعة خاطفة بأمر ربّه - لها دلالتها فى تعظيم رسالة الرسول ﷺ وعلو منزلته ومكانته.

ومن أمعن النظر فى الصفات التى أجزاها الله على جبريل فى مقام الحديث عن رسالة محمد ﷺ عرف أنها لتعظيم رسول الله ﷺ وأنه بلغ من المكانة وعلو المنزلة عند ذى العرش بأن جعل السفير بينه وبينه مثل هذا الملك المقرب المطاع الأمين.

فالقول فى هذه الصفات بالنسبة إلى رسول الله ﷺ رفعة منزلة له كالقول فى قوله عند ذى العرش بالنسبة إلى رفعة منزلة

جبريل عليه السلام.

قد لا ترى جبريل عليه السلام مذكوراً باسمه أو ضميره إلا فى آيات معدودات ولكنك - وأنت تقرأ القرآن - تتبعه قارئاً وتراه حاضراً وإن لم تره.

وقد حُفِظَ القرآن فَحُفِظَتْ به خصائص الروح ودلائل النبوة ومعالم الرسالة وعرف الناس مقاصد الدين وما نزل به الروح الأمين على قلب خاتم المرسلين وغدا الإيمان بذلك إيمان بيّنة ومعرفة.

فلم يفارقنا ما كان به الرسولُ رسولاً وإن لقي ربّه ولم يفارقنا ما نزل به جبريل وإن انقطع عهده بالدنيا بعد أن لحق الرسول ﷺ بالملا الأعلى.

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبی ﷺ فى مرضه الذى قبض فيه.

فقال : إن الله عز وجل يُقرئك السلام ويقول : كيف تجدك ؟

قال : أجدنى وَجِعاً يا أمين الله.

ثم جاءه من الغد فقال : يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام

ويقول :

كيف تجدك ؟

قال : أجدنى يا أمين الله وَجِعاً

ثم جاءه فى اليوم الثالث ومعه ملك الموت فقال :

يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول كيف تجدك ؟

قال : أجدنى يا أمين الله وجعاً من هذا معك ؟
 قال : هذا ملك الموت عليه السلام .
 وهذا آخر عهدى بالدنيا بعدك وآخر عهدك بها .
 ولن أسى على هالك من ولد آدم بعدك .
 ولن أهبط إلى الأرض إلى أحد بعدك .
 فوجد النبى ﷺ سكرة الموت وعنده قدح فيه ماء .
 فكلما وجد سكرة اخذ من ذلك الماء ، فمسح به وجهه ويقول :
 اللهم أعنى على سكرة الموت .
 نعم كان ذلك آخر عهد جبريل بالدنيا وآخر عهد رسول الله ﷺ
 بها .

ولكن القرآن الكريم الذى من أجله تنزل جبريل .
 وارسل الرسول قد حفظ بحفظ الله عز وجل .
 فبقى لنا قول جبريل وامتد ذكره وحفظ أثره « وإنه لقول
 رسول كريم » كما بقى لنا الرسول ﷺ أسوة وقدوة إلى يوم
 الدين بقى الرسول ﷺ فينا برسالته .
 وبقى الروح الامين مذكوراً بقوته وأمانته .
 ولن يكون هناك ايمان بغير الإيمان بالله وملائكته وكتبه
 ورسله واليوم الآخر .

في روضة القرآن

القرآن كما
نزل إليه

٤ - القرآن كأنما نزل الآن

بقى القرآن محفوظاً بحفظ الله

فلم يعد هناك تكلف فى استحضار الصلة بين من نزل القرآن
ومن نزل به ومن نزل عليه .

وانت تقرأ القرآن فتري وتسمع ولا يفصلك عما جاء به القرآن
فواصل زمان أو مكان .

تقرأ القرآن وكأنما نزل الآن والرسول الذى يتلقاه تراه حاضرا
وجبريل الذى نزل به ليس بعيداً أو غائباً .
ذاك ما تحققه لك تلاوة القرآن وما تجده دون تكلف أو خفاء
برهان .

تعال بنا إلى روضة القرآن الكريم لنرى الرسول ﷺ مخاطباً
حاضرا ونرى جبريل بكلام الله آتياً . ونرى الحكم الذى جاء به
على الزمان متلواً وياقياً يحكم به على مر الزمان وكأنما نزل الآن .
مع أن الحكم قد نزل فى خويلة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن
الصامت حين قال لها : أنت على كظهر امي .

وسببه ما روى انها كانت حسنة الجسم فدخل عليها زوجها
مرة فراها ساجدة فى الصلاة فنظر إلى عجيزتها فأعجبه أمرها .
فلما انصرفت من الصلاة طلب وقاعها فأبت فغضب عليها
وكان به لَمَمٌ فأصابه بعض لَمَمِهِ .

فقال : أنت علي كظهر أمي ثم ندم علي ما قال .

وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية .

فقال : ما أظنك إلا قد حرمت علي .

فقالت : والله ما ذاك طلاق .

فأتت رسول الله ﷺ وعائشة تغسل شق رأسه .

فقالت يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا

شابة غنية ذات أهل ومال .

حتى إذا أكل مالي وأهني شبابي وتفرق أهلي وكبر سنِّي ظاهر

منِّي وقد ندم .

فهل من شيء يجمعني وإياه تُنعشني به .

فقال رسول الله ﷺ حرمت عليه .

فقالت : يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق .

وإنه أبو ولدي وأحب الناس إلي .

فقال رسول الله ﷺ حرمت عليه .

فقالت : أشكو إلى الله فافقتي ووجدتني . فقد طالت له صحبتي

ونفضت له بطني .

فقال رسول الله ﷺ : ما أراك إلا قد حرمت عليه ، ولم أومر في

شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله ﷺ ، وإذا قال لها رسول

الله ﷺ حرمت عليه هتفت وقالت : أشكو إلى الله فافقتي ووجدتني

وشدة حالي وإن لي صبية صفراء ، إن ضممتهم إلي جاعوا ، وإن

ضممتهم إليهم ضاعوا وجعلت ترفع رأسها إلى السماء تقول

« اللهم اشكو إليك .

اللهم فأنزل على لسان نبيك فَرَجِي . فكان هذا أول ظهور فى الإسلام »

فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر .

فقالت : انظر فى أمرى جعلنى الله فداك يا رسول الله .

فقالت عائشة رضى الله عنها : أقصرى حديثك ومجادلتك أما رأيت وجه رسول الله ﷺ . وكان إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات أى النوم فلما قضى الوحي .

قال ﷺ : ادعى لى زوجك فدعته .

فتلا عليه رسول الله ﷺ :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ (١) الَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدَتْهُنَّ وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مَكْرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ۝ (٢) وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ تَوَعَّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ (٤) ﴾ (المجادلة : ١ - ٤)

روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات » لقد جاءت المجادلة

خولة إلى رسول الله ﷺ وكلمته وأنا فى جانب البيت وما أسمع

ما تقول . فأنزل الله قد سمع الله قول التى تجادل فى زوجها

وتشتكى إلى الله .. الآيات .

فقال ﷺ لزوجها هل تستطيع العتق ؟ فقال : لا والله فقال : هل تستطيع الصوم ؟ فقال : لا والله إني إن أخطأني الأكل فى اليوم مرة أو مرتين كل بصرى وظننت أنى أموت .

قال ﷺ : فاطعم ستين مسكيناً

قال : ما أجد إلا أن تعيننى معونة وصلة .

فاعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً فتصدق بها على ستين مسكيناً .

حادث وقع فى عهد رسول الله ﷺ - والقرآن ينزل - أمر جبريل أمين الله فنزل على قلب الرسول ﷺ بما أوحى الله به .
والجادة لم تبارح مكانها . ولم تنقطع مجادلتها وشكواها وعائشة رضى الله عنها ترى مجادلتها وشكواها ولا تسمع ما تقول .

ولكن الله قد سمع من فوق سبع سموات

كانت عائشة رضى الله عنها حاضرة لهذه القصة كلها

فكانت تقول : سبحان من وسع سمعه الأصوات . لقد كنت حاضرة لهذه القصة كلها وكان بعض كلام خولة يخفى على وسمع الله جدالها .

حادث واقع فى زمن التنزيل نزل فيه قرآن كريم يُتلى ويُسمع .

نعرف منه أن لا شئ من أمرنا يخفى على الله أو يغيب .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ (١٧)

(المؤمنون : ١٧)

هذه الدلالة تراها في حَدَثٍ واقع لم يستطع الرسول ﷺ إلا أن يقول - لخولة وهي تشتكى وتجادل - ما أمرنا في أمرك بشئ. فهو ينتظر ﷺ حكم الله فيما وقع .

لم يقل لخولة أذهبى حتى يقضى الله في أمرك .
وهي التي قالت لزوجها والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلى وقد قُلْتُ ما قُلْتُ حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه .

فهى إذن تنتظر حكم الله وقد سمعت من رسول الله ﷺ ما سمعت وهي التي استعارت من بعض جاراتها ثيابا ثم خرجت حتى جاءت إلى رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرت ما لقيت منه وجعلت تشكو إليه وجعل رسول الله ﷺ يقول « يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقى الله فيه » .

كل ذلك والرسول ﷺ ينتظر حكم الله في شأنها .
قالت خولة : فوالله ما برحت حتى نزل في قرآن فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سرى عنه فقال لى :
يا خويلة قد انزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا »

خولة ما برحت مكانها ولا ذهبت ثم رجعت بل كان جبريل بأمر ربه موفداً إلى رسول الله ﷺ وهو في داره وصاحبة الشكوى ترى وتسمع . ترى دلائل الوحي في وجه رسول الله وتسمع ما جاء به أمين الله تلاوة من رسول الله ويأتى زوجها أوس بن الصامت فيسمع ما نزل من القرآن وما قضى الله به . ويبقى الحكم حكماً لمن يأتى إلى آخر الزمان . ويبقى بيانه من

رسول الله أسوة في الحياة . بل يبقى عمل هذه الزوجة الطهور
نبراساً لمن ابتغى مرضاة الله .

قالت خولة - فيما رواه الامام احمد - حين قال الرسول ﷺ
« سنعيه بفرق من تمر » .

قالت : فقلت يا رسول الله وانا ساعينه بفرق آخر .
قال ﷺ « قد أصبت وأحسن فتصدقى به عنه ثم
استوصى بآبن عمك خيراً » قالت : ففعلت

إن مثل هذه المرأة جديرة أن تكرم وأن يُسمع لها .
وذاك ما كان من عمر بن الخطاب رضى الله عنه في شأنها .
فقد روى أن عمر بن الخطاب مر بها في زمن خلافته وهو على
حمار والناس حوله . فاستوقفته ملويلاً ووعظته .
وقالت : يا عمر قد كنت تُدعى عُمَيْراً ثم قيل لك يا عمر ثم قيل
لك يا أمير المؤمنين .

فاتق الله يا عمر . فإن من أيقن بالموت خاف الفوت
ومن أيقن بالحساب خاف العذاب .
وهو واقف يسمعها .

فقيل له : يا أمير المؤمنين : أتقف لهذه العجوز هذا الموقف ؟
فقال : والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا
للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز ؟
هي خولة بنت ثعلبة .

سمع الله قولها من فوق سبع سموات .
أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر ؟

في روضة القرآن

دلالة قول الله
(قد سمح)

٥ - دلالة قول الله « قد سمع »

إن الدلالات التى تؤخذ من قول الله ﴿ قد سمع ﴾ ذات تأثير بالغ فى خشية القلب واستقامة النفس .
وهى تستحضر أن الله حاضر فى كل شأن لا يغيب .

قد سمع قول التى تجادل رسول الله ﷺ فى زوجها وتشتكى إلى الله سمعها واستجاب لها وأرسل أمين السماء يهْدِي من روعها بما أوحى الله من آيات فيها حكم الله . ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون .

ليعلم الناس جميعاً أن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء وأن ما يقضى الله به قائم على علم وحكمة وأن ما هم عليه معلوم ومشهود

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦١)

(يونس : ٦١)

خذ مثلاً آخر من كتاب الله عز وجل مسبقاً بسبب النزول .
كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : دخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بيت المدراس : « المعلم المدرس » فوجد من يهود ناساً كثيرة قد اجتمعوا على رجلٍ منهم يقال له فنحاص

وكان من علمائهم وأخبارهم ، ومعه خبرٌ يقال له أشيع .
فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك
لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه
مكتوبا عندكم في التوراه والانجيل فقال فنحاص : والله يا أبا بكر
ما بنا إلى الله من حاجة من فقر .
وإنه إلينا لفقير . ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا . وإننا عنه
لاغنياء .

ولو كان عَنَّا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم .
ينهاكم عن الربا ويُعطينا ، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا .
فغضب أبو بكر رضى الله عنه فضرب وجه فنحاص ضرباً
شديداً .

وقال : والذي نفسى بيده لولا الذى بيننا وبينك من العهد
لضربت عنقك يا عدو الله فاكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين .
فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أبصر ما
صنع بى صاحبك .

فقال رسول الله ﷺ : ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر «
فقال : يا رسول إن عدو الله قال قولا عظيما ، يزعم أن الله فقير
وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غَضِبْتُ الله مما قال فضربت وجهه .
فجحد فنحاص ذلك ، وقال ما قُلْتُ ذلك .

فأنزل الله فيما قال فنحاص

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ... ﴾

(آل عمران : ١٨١)

حَدَّثَ وَقَعَ فِى الْأَرْضِ اهْتَزَتْ لَهُ السَّمَاءُ

لَمْ يَتَدَخَلِ الرَّسُولُ ﷺ لِتَصْدِيقِ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ صَادِقٌ

وَإِنَّمَا جَاءَ تَصْدِيقَ أَبِي بَكْرٍ وَرَدُّ فَنَحَاصٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ... ﴾

قَوْلِ اللَّهِ هُنَا : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾ فِىهِ تَهْدِيدٌ وَوَعْدٌ لِلَّذِينَ قَالُوا

مَا ذَكَرُوا وَإِعْلَامُهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ عِلْمُهُ وَأَحْصَاؤُهُ :

﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ (آل عمران : ١٨١)

هَذَا قَوْلُهُمْ فِى اللَّهِ وَهَذِهِ مُعَامَلَتُهُمْ رَسُلَ اللَّهِ وَسَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ عَلَى

ذَلِكَ شَرَّ الْجَزَاءِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ

لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢) ﴾ (آل عمران : ١٨١ ، ١٨٢)

يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا وَتَحْقِيرًا وَتَصْغِيرًا جَزَاءً وَفَاقًا .

إِنْ دَعَوْتَهُمْ إِلَى قَبُولِ الْحَقِّ زَادَتْهُمْ طُغْيَانًا وَكُفْرًا .

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾

(المائدة : ٦٤)

زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَاهِدُ إِلَيْهِمْ فِى كِتَابِهِمْ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا لِرَسُولٍ حَتَّى

يَكُونَ مِنْ مُّعْجَزَاتِهِ أَنْ مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ مِنْ أَمْتِهِ فَتَقَبَّلَتْ مِنْهُ أَنْ

تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ تَأْكُلُهَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ :

﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (آل عمران : ١٨٣)

جَاءَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ قَبْلِى بِالْحَجَجِ وَالْبَرَاهِينِ « وَبِالَّذِى قُلْتُمْ »

أَيْ وَبِنَارٍ تَأْكُلُ الْقَرَابِينَ الْمُتَقَبِّلَةَ « فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ » أَيْ فَلِمَ

قابلتهم بالكذب والمخالفة والمعاندة وقتلتهم « إن كنتم صادقين » أنكم تتبعون الحق وتنقادون للرسول .
ثم قال الله عز وجل مُسْلِيًّا نَبِيًّا مُحَمَّدٌ ﷺ :
﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤) ﴾ (آل عمران : ١٨٤)
أى لا يؤمنك تكذيب هؤلاء لك .

فلك اسوة بمن قبلك من الرسل الذين كُذِّبوا مع ما جاؤا به من البينات والزبر والكتاب المنير .

هكذا نرى التواصل بين الرسول وخبر السماء
تواصل يرى فى واقع ويُقرأ فى آيات
إعجاز ما بعده اعجاز . هو خير وأبقى مما يطلبه القوم من معجزات إنهم قد طلبوا المعجزة نارا تنزل من السماء فتأكل ما قُدم من قربان ولن تبقى ساعة من نهار .
ولكن الله جعلها نورا تبقى ما بقى الليل والنهار .

ولم تكن معجزة القرآن معجزة واحدة بل معجزات والقرآن يتنزل به جبيرل على قلب الرسول فى أية لحظة من ليل أو نهار وإن نامت عين الرسول فالعين نائمة والقلب يقظان فلم تُنَلْ أية على الناس من القرآن قبل أن تتلى على قلب الرسول ومن قلبه ﷺ كانت التلاوة على الناس نورا وكان الرسول ﷺ بالقرآن سراجا منيرا يسمعون القرآن من رسول الله تلاوة وذكرًا وبيرونه فى شخصه خُلُقًا وَعَمَلًا فالقرآن الكريم لم يصل إلينا إلا مُرُورًا بقلبه ﷺ ولم نحفظه إلا من قراءته وحفظه

ولم تعرف بيان فرائضه وشرائعه إلا من إقراره وقوله وعمله .
فلا فصل بين الرسول ﷺ والقرآن ولا اتباع للقرآن بغير اتباع
الرسول .

فإن القرآن قد أنزل وحفظ ليعمل به .
ولا نعرف كيف نعمل بغير بيان من أنزل عليه
وقد كانت عائشة رضى الله عنها ذات معرفة بالرسول وفقه
بالقرآن حيث قالت : « كان خلقه القرآن »
وكان الشافعى رضى الله عنه إماما من أئمة المسلمين حيث
قال :

كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن .
قال الله تعالى :
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾
(النساء : ١٠٥)

وقال الله تعالى :
﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٦٤) (النحل : ٦٤)

وقال الله تعالى :
﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
(النحل : ٤٤)

ولهذا قال الرسول ﷺ « ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه »
يعنى السنة .

والسنة أيضا تنزل عليه بالوحى كما ينزل القرآن إلا أنها

لا تُتْلَى كما يُتْلَى الْقُرْآنُ »

فَحَفِظَ بِذَلِكَ الْقُرْآنَ حِفْظًا

حَفِظَ لِكَلِمَاتِهِ وَأَيَّاتِهِ ، وَحَفِظَ لِبَيَانِهِ وَسَبِيلِ اتِّبَاعِهِ

فَتَحَقَّقَ بِذَلِكَ وَعْدُ اللَّهِ لِرَسُولِهِ

حَيْثُ قَالَ : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) ﴾ (الْقِيَامَةُ : ١٧)

وَقَالَ : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٨) ﴾ (الْقِيَامَةُ : ١٨)

وَتَحَقَّقَتِ الْكَفَالَةُ الْمَطْلُوقَةُ بِحِفْظِ الذِّكْرِ بِلَاغًا لِلنَّاسِ وَإِعْذَارًا وَإِنْذَارًا :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ (الْحَجَر : ٩)

فى روضة القرآن

الرسول مبلغ
عن ربه

٦ - الرسول مبلغ عن ربه :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ .. ﴾ (المائدة : ٦٧)

يقول الله تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ باسم الرسالة وأمرأ له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ ... ﴾ وق امتثل ﷺ ذلك وقام به أتم قيام .
قال البخارى عند تفسير هذه الآية :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب وفى الصحيحين عنها أيضاً أنها قالت : لو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية :
﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ (الأحزاب : ٣٧)

وقال البخارى : قال الزهري من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلىنا التسليم وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة .

واستنطقهم بذلك فى أعظم المحافل فى خطبته يوم حجة الوداع : كما ثبت فى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته يومئذ « أيها الناس إنكم مسئولون

عني فما أنتم قائلون ؟

قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت .

فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول « اللهم هل بلغت » « وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » يعني إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته .

إن الرسول ﷺ ... وهو يبلغ ما أنزل إليه من ربه ... يواجه بهذا الحق من ربه ما استحوذ على الناس من إيمان بالباطل وكفر بالله وما جاء أحد بمثل ما جاء به الرسول ﷺ إلا عودى كما قال ورقة بن نوفل للرسول ﷺ في بداية بعثته

بل قال له : « يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك » ؟

فقال الرسول ﷺ متعجباً « أو مخرجي هم » ؟

عداوة من أقرب الناس إليه وأعرفهم به ، وهم الذين لبث فيهم عمراً من قبل أن يبعث . وقد أجمعوا على أنه الصادق الذي لا يكذب الأمين الذي لا يخون .

وقد تحقق ما قاله ورقة من عداوة وصد ومكر وكيد ولم يقل ورقة ذلك من عند نفسه بل بما عرفه من سنة الله في الأنبياء من قبل .

وإذا كنا نقرأ تفصيل ذلك كله في سيرة الرسول ﷺ منذ بعثته إلى أن لقي ربه .

فإننا في حاجة ماسة أن نرى الرسول ﷺ في القرآن ونرى القرآن فيه .

ولست أرى أن الهداية إلى الحق وإلى طريق مستقيم تتم بغير
اتباع هذا السبيل أن نرى الرسول فى القرآن ونرى القرآن فيه
وذلك ما تضمنته الآية الكريمة :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) ﴾ (الشورى : ٥٢)

في روضة القرآن

والله يحصمك
من الناس

٧ - وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ

أَيُّ بَلِّغَ أَنْتَ رِسَالَتِي وَأَنَا حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ وَمَوْئِدُكَ عَلَى
أَعْدَاكَ وَمُظْفِرُكَ بِهِمْ فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ فَلَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ
بِسُوءِ يَوْمِيكَ .

مَا أَثَرُ ذَلِكَ وَمَا دَلَالَتُهُ ؟

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ فَقَدْ صَرَّفَ حُجَابَهُ وَقَالَ « انصَرَفُوا
فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ » .

وَكَمْ وَقَعَتْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مُحَاوَلَاتٌ مِنَ الدُّلِّ الْأَعْدَاءِ فَمَا تَمَكَّنَ أَحَدٌ
مِنْ إِيصَالِ أَدْيٍ إِلَيْهِ أَوْ إِيْقَاعِ شَرٍّ بِهِ بَلْ كَفَاهُ اللَّهُ وَحَمَاهُ حَتَّى أَظْهَرَ
دِينَهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ وَأَمَّا دَلَالَةُ ذَلِكَ لِمَنْ أَحْسَنَ التَّدْبِيرَ أَنْ يَوْقِنَ أَنَّ مَنْ
حَفِظَهُ اللَّهُ لَا يُضَيِّعُ وَأَنَّ مَنْ يَطْلُبُ الْحِفْظَ مِنْ رَبِّهِ عَلَيْهِ أَنْ يَحْفَظَ اللَّهُ
فِي نَفْسِهِ بِحَسَنِ الْاسْتِجَابَةِ لَهُ وَلِرِسْوَلِهِ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ
لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُوَ آنَذَاكَ غَلَامٌ « احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ،
احْفَظْ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ .. »

فى روضة القرآن

حفظ ومؤانسة

٨ - حفظ وموانسة

﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩) ﴾ (الطور : ٤٨ ، ٤٩)

مرتبة للرسول ﷺ لم يبلغها قط أى إنسان

« فإنك بأعيننا »

أى أغراض وأى انس وأى زعاية وأى حفظ بل وأى مكانة وأى حب أعظم من ذلك .

قال الله له ذلك وهو يتحدث عن عناد الكفار ومكابرتهم ويتجه بالخطاب إلى رسوله ﷺ .

﴿ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩) ﴾

(الطور : ٤٥ - ٤٨)

هكذا يعطى الله نبيه زاد التحمل والصبر بل سبيل الفوز والنصر .

﴿ وسبح بحمد ربك حيث تقوم . ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾ .

تسبيح وتحميد آناء الليل وأطراف النهار وصلة دائمة بمن

لا يعجزه من شئ فى الأرض ولا فى السماء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا (٧) وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النُّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) ﴾ (المزمل : ١ - ١١)

بدأ هنا بالأمر بالتزود من الزاد الذى يعين على التحمل والصبر ويطلب به من الله الفوز والنصر . وما عند الله لا يطلب إلا بطاعته ..

﴿ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ .

قال الله له ذلك وهو يناديه نداء ايقاظ وملاطفة يتناسب مع الحال الذى كان عليه « يا أيها المزمّل » المزمّل : النائم كما قال ابن عباس أو المزمّل فى ثيابه كما قال قتادة .

« قُمْ » أمر من الله لا يعنى إيقاظه عليه من نوم أو فراش فحسب بل يعنى ما هو أعظم وأكبر من ذلك يعنى الاعداد لمهمة كبرى بالوسائل المناسبة لها .

قيام الليل ، قيامه للصلاة وترتيل القرآن .

ذاك هو الاعداد للقيام بالحق الذى نزل به وأنزل القرآن وهنا

نستطيع أن نرى الرسول فى القرآن وأن نرى القرآن فيه
نرى الرسول وهو قائم بما أمر به نراه قرآنياً يُحقق بالقرآن ذاته
ورسالته ونرى القرآن مُسطراً فى قلبه رطباً بلسانه خُلِقاً فى
سعيه وعمله . روى الامام احمد فى مسنده عن سعيد بن هشام..
أنه أتى ابن عباس رضى الله عنهما فسأله عن الوتر فقال : ألا
انبئك بأعلم أهل الارض بوتر رسول الله ﷺ ؟
قال : نعم .

قال : أتت عائشة فسألها ، ثم أرجع فأخبرنى بردها عليك . يقول
سعيد بن هشام : قلت : يا أم المؤمنين انبئينى عن خلق رسول الله
ﷺ قالت : ألسنت تقرأ القرآن ﷻ
قلت : بلى .

قالت : فإن خلق رسول الله ﷻ كان القرآن .
فهمت أن أقوم ، ثم بدأ لى قيام رسول الله ﷻ .
قلت : يا أم المؤمنين ، انبئينى عن قيام رسول الله ﷻ .
قالت : ألسنت تقرأ هذه السورة « يا أيها المزمّل » ؟
قلت : بلى .

قالت : فإن الله افترض قيام الليل فى أول هذه السورة .
فقام رسول الله ﷻ وأصحابه حَوَلاً حتى انتفخت أقدامهم
وأمسك الله ختامها فى السماء اثنى عشر شهرا .
ثم انزل التخفيف فى آخر هذه السورة ، فصار قيام الليل
تطوعاً من بعد فريضة .

فهمت أن أقوم .

ثم بدأ لي وتر رسول الله ﷺ .

قالت : كنا نعد له سواكه وطهوره ، فيبعثه الله كما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ، ثم يتوضأ ، ثم يصلي ثمان ركعات لا يجلسُ فيهن إلا عند الثامنة فيجلس ويذكر ربّه تعالى ويدعو ، ثم ينهض وما يُسلم .

ثم يقوم ليصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله وحده ، ثم يدعوه ثم يسلم تسليماً يسمعنا .

ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعدما يُسلم .

فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني .

فلما أسن رسول الله ﷺ - وأخذ اللحم أوترَ بسبع ثم صلى

ركعتين وهو جالس بعدما يسلم ، فتلك تسع يا بني

وكان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها وكان

إذا شغله عن قيام الليل نومٌ أو وجعٌ أو مرضٌ صلى من نهار

اثنتي عشرة ركعة .

ولا أعلم نبي الله ﷺ - قرأ القرآن كله في ليلة حتى أصبح

ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان ..

ذاك هو الرسول ﷺ بالقرآن قائماً به كما أمر مُرتلاً وتالياً

يحيى به ليله ويذكر ربه والناس نيام .

ويا له من سكون ونور أن يُتلى القرآن بالليل وفي الليل حضورٌ

وشهود سكون للنفس ونور للقلب . وزاد للمؤمن - في تحمل

أعباء الحياة - أي زاد ﴿ إن ناشئة الليل هي أشدُّ وطئاً وأقوم
قيلاً ﴾ .

للذكر فيها حلاوة ، وللصلاة راحةً وخشوع ، وللمناجاة أنسٌ
ونور قد لا يجدها الإنسان في صلاة النهار ﴿ إن لك في النهار
سبحا طويلاً ﴾ للنهار مشاغلة وقضاياه . وفي الليل سكونٌ وأنس
وحضور قلب ومناجاة ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ﴾
ذكر خالص منقطع عن كل ما عدا الله . وهذا ما كان من رسول
الله .

أما وقد أخذ الرسول زاده من طاعة وذكر وعبادة .

فليتوكل على الله وحده وقد أخذ بأسباب التوكل عليه .

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ ﴾

(المزل : ٩)

ومن تدبر التناسب بين هذه الآية وما جاء بعدها من قوله :

﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ

أُولِي النِّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١ ﴾ (المزل : ١٠ ، ١١)

علم أن الصبر الذي أمر الرسول به في مواجهة المكذبين
المتطاولين هو صبر الإعذار والإنذار بل صبر الرحمة بأولئك علَّهم

يتوبون ويرجعون ولذلك قال ﴿ واهجرهم هجراً جميلاً ﴾ .

ولا شك أن الهجر الجميل مع تطاول المكذبين يحتاج إلى الصبر
الجميل الذي لا يكون إلا بالله ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا

هو ﴾ .

وهذا ما كان من رسول الله وما رأينا نتأجه فيمن تحول بعد
عداوة إلى ولي حميم .

اصبر واخل بينى وبين من يكذبونك فأنا كفيل بهم .
دعهم يكذبونك واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً .
الهجر الجميل يحتاج إلى صبر جميل مطمئن واثق موصول
بالله لا يصاحبه قلق ولا سخط وعندئذ يكون الهجر الجميل - لمن
أساء - دفعاً بالتي هي أحسن ومن كان صبره لله وبالله عرف سنن
الله فى خلقه .

وكان صبره صبر الواثق المطمئن أن الله وحده لا لأحد سواه
عاقبه الأمور

﴿ ربُّ المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً ﴾
هكذا نرى القرآن حياة فى صميم حياة الرسول فى يقظة أو
نوم فى سفر أو حضر فى ليل أو نهار نراه موخى به إليه ما شياً
أو قاعداً مفطراً أو صائماً محارباً أو مسالماً مزملاً أو مدثراً .
نراه فى جميع الأحوال حياة فى صميم حياة الرسول ﷺ .

ونرى الرسول ﷺ يمشى بنوره فى الناس يتلو ويعلم ويزكى
ويحكم بين الناس بما أراه الله ويبلغ ما أنزل إليه من ربه .

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) ﴾

(المدثر : ١ - ٧)

يُنَادى الرسول وهو على هذه الحالة « يا أيها المدثر » ملاطفة

وموانسة وتسرية بعد عناء وإجهاد . روى البخارى عن جابر بن عبدالله وهو يحدث عن رسول الله ﷺ قال :
جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنُوديتُ
فنظرت عن يمينى فلم أر شيئاً . ونظرت عن شمالى فلم أر
شيئاً .

ونظرت أمامى فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفى فلم أر شيئاً .
فرفعت رأسى فرأيت شيئاً فأتيت خديجة فقلت « دثرونى
وصبُّوا على ماءً بارداً قال : فدثرونى وصبُّوا على ماءً بارداً قال :
فنزلت ﴿ يا أيها المدثر . قم فانذر . وربك فكبر ﴾ .
وقد رواه مسلم عن أبى سلمة قال : اخبرنى جابر بن عبد الله
انه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي ، فقال فى حديثه :
فبينما أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصرى قبلَ
السماء . فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعدٌ على كرسى بين
السماء والارض .

فجئيت منه حتى هويتُ إلى الارض فجئت إلى اهلى فقلت :
زملونى قدثرونى ، فأنزل الله ﴿ يا أيها المدثر ، قم فانذر .. إلى
والرجز فاهجر ﴾ .

قال أبو سلمة : والرجز الأوثان .

وإذا تدبرنا ما رواه الطبرانى عن ابن عباس فى سبب النزول
استطعنا أن نعرف لماذا أمر الرسول ﷺ بالصبر فى قوله تعالى
﴿ ولربك قاصبر ﴾

إذ قال ابن عباس رضى الله عنهما « إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما أكلوا منه قال : ما تقولون فى هذا الرجل ؟ قال بعضهم : ساحر . وقال بعضهم ليس بساحر وقال بعضهم : كاهن . وقال بعضهم ليس بكاهن وقال بعضهم : شاعر . وقال بعضهم ليس بشاعر وقال بعضهم : بل سحر يؤثر . فأجمع رأيهم على انه سحر يؤثر .

فبلغ ذلك النبى ﷺ - فحزن وقنع رأسه ، وتدنثر .
فأنزل الله عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ لَكَبِيرٌ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) ﴾

(المدثر : ١ - ٧)

وأيًا ما كان السبب فإن للآيات دلالتها فى مخاطبة الرسول وما يصدع به وما يكون عليه .

وهى دلالات لا يُترك للعقل منفرداً أن يستنبطها

ولأنما هى آيات بينات تُرى فى واقع يُحس ويُشاهد

والرسول ﷺ وهو محور الأحداث وجوهرها وجبريل أمين

السماء رواح غداء يتنزل بأمر ربه فى آية لحظة من ليل أو نهار.

والمجمعون على الكذب والمكر والصد والكيد لا يحسون بما هو

واقع ولا يبصرون .

ولو كانت لهم قلوب يعقلون بها لآيقنوا - والقرآن يتلى عليهم -
 أن الرسول ليس مجرداً عن قوة حتى يتأمر عليه
 ولو كانت لهم آذان يسمعون بها لكان منهم حسن تدبر وسماع
 ولما وقع منهم أن يتواصوا فيما بينهم :

﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ (فصلت : ٢٦)

ولو كانت لهم اعين يبصرون بها لراوا الرسول كما يعرفون
 صادقاً أميناً لم يكذب عليهم قط فكيف يكذب على الله .
 ولكنه العقاب على الجحود : « وجحدوا بها واستيقنتها
 أنفسهم ظلماً وعلواً »

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ
 بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٣) ﴿ (الأنعام : ٣٣)

ويكفى أن تتلى عليهم هذه الآية لو كان يشعرون . وأن يعلموا
 أن الله يعلم ما يُحْزِنُ نبيه . وفى علمه بذلك تهديد لهم ووعد وهم
 اعرف الناس بلغة العرب ودلالاتها .

فكيف اذا سمعوا ما ترتب على قولهم فى القرآن ﴿ إن هذا إلا
 سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر ﴾ .

والرسول يؤمر بالصبر ويقرعهما بما نزل من وعيد لقائلهم :

﴿ إن هذا إلا قول البشر ﴾

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحٍ

لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴿ (المدثر : ٢٦ - ٢٩)

آيات وآيات يصدع بها الرسول ويقرعهما بها وهم فى طغيانهم

يعمهمون . آيات لها سلطانها ودلالتها على قدر قائلها .
 إذ الوعيد من بشر محدود بحدود ضعفه وأجله وقد يموت قبل
 أن ينفذ وعيده ولكن الوعيد من الحى الذى لا يموت .
 الوعيد ممن له القوة جميعا والعزة جميعا .
 ترى لكلمة الوعيد منه - سبحانه - سلطانا وبرهاناً
 فمن ذا الذى يقول من البشر :
 ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝٤٥ ﴾ (القمر : ٤٥)
 وانظر لسلطان الايات وهى تلقى على الرسول - وهم يكيدون
 له ويتآمرون .

﴿ فَأَمَّا نَذِيرٌ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ۝٤٦ أَوْ تُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا
 عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ۝٤٧ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ
 ۝٤٨ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۝٤٩ ﴾
 (الزخرف : ٤٦ - ٤٩)

كلام عزيز له قوة وسلطان
 لا يمكن لبشر أن ينطق به وعيداً وعداً لنبي .
 وحامل هذا الوحي للرسول وهو ملك واحد من ملائكة الله لو
 اذن له بهلاكهم لدمرهم تدميراً وهذه الايات تتلى عليهم وتذكرهم
 أن شرفهم فيما جاءهم من ربهم ولكن كثيراً من الناس يودون أن
 يعيشوا فى أرض الله بلا شرف ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ فمن
 أبى هذا الذكر عاش فى دنياه بلا شرف « وسوف تسألون » فبِمَ
 يُجيبون ؟ وبِمَ يجيب من يُعرضون ويصدون ؟

﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (المؤمنون : ١٠٥ - ١١١)

كلام له نور وسلطان ارأيت بم يجيبون حين يُسألون . عُدْنَا وحسرة « حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ » من بداية مقدمات الموت ومجيئه « رَبِّ ارْجِعُونِ » لأنهم رأوا ما هم إليه صائرون . فإذا القوا فى جهنم قالوا « رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ » فيجابون « اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ » وترى النتائج لهم ولن سخروا بهم وكانوا منهم يستهزؤون ويضحكون « إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ » كلام عزيز له قوة وسلطان .

وانظر كيف يوبخ هؤلاء وَمَنْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِمْ :
﴿ قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِينٍ ﴾ (١١٢) قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾

(المؤمنون : ١١٢ - ١١٦)

هذه الآيات تُتلى على من كان له قلب فى أى زمان أو مكان فلا

يحتاج بعدها إلى سلطان دليل أو برهان .

والذى يلفت النظر أن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يُخاطب بهذه الآيات بينهم فى مكة يجابهم بالآيات وفيها تهديد لهم ووعد.

وفيها للرسول تثبيت وتقديد . وليس مع الرسول سوى القرآن يسفه به أحلامهم ويعيب الهتهم وهم يتوهمون أنهم على البطش قادرون . مع أنهم أمام سلطان القرآن وحده عاجزون مقهورون وهم يرون أن الرسول والذين معه مع ما يلاقون صابرون مستمسكون . يزدون ولا ينقصون

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿١٤﴾ (الزخرف : ٤٣ ، ٤٤)

يا لله ذاك هو القرآن يُرى فى الرسول ويُرى الرسول فى القرآن معجزة باقية لا ينطفى لها نور ولا يُرجى بعدها للحق حجة أو برهان أرايت أن دعوة الرسول أن يصبر على أذى المشركين هى دعوة من قادر على الأخذ الاليم والبطش الشدى وهو مَنْ أَمَرَ الرسول أن يصبر له وبه « وَلَرَبِّكَ فَاصْبِر » سبحانه فى ملكوته وعلاه : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (النحل : ١٢٧)

القرآن الكريم يتنزل - والرسول ﷺ - يؤمر أن يصبر على ما يلاقية من صدٍّ وكيدٍ وكفرٍ وجحود . يصبر على سفاهة السفهاء وجحود المستهزئين .

ولكن هذا الصبر من رسول الله لم يكن إمساكا عن الصدع بما

أمر به وتبليغ ما أنزل إليه بل كان آية ودلالة على الثبات على الحق والاستمسك به وأن العاقبة له . والقرآن الكريم يُنذِرهم ويخبرهم أن الله يعصم نبيه ويحفظه مع إصرارهم على الكيد له وجحود ما جاء به . ليلفت أنظارهم للفرار إلى الله وحده إذ لا مقدرة لهم على تخويف رسوله أو إطفاء نوره . ولا شيء سوى القرآن يُتلى عليهم وينذرهم . ويهدي المؤمنين ويبشرهم . لا شيء سوى القرآن يُتلى على هؤلاء وأولئك . فيزداد به المؤمنون إيماناً ويزداد الظالمون خسراناً .

فى روضة القرآن

ثبات وقوة

١٠ - ثبات وقوة :

إن القرآن الكريم قد عمل عمله فى ذات الرسول أولاً . وأن ما حققه القرآن فى خاصة نفسه - وهو يتلقاه - كان أعظم مما يتصوره كثير من الناس ذلك أن الرسول ﷺ قد علم منذ نُودى « اقرأ » أنه يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم .

﴿ وَإِنَّهُ لَشَرِيعٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء : ١٩٢)

فكانت الصلة بينه وبين أمين السماء - وهو ينزل بكلمات الله - مصدر قوة وعزة ويقين بنصر الله .

فلم تهن قط عزيمته ولم تضعف إرادته أو مروءته .

ولم يخش - فى سخائه - من ذى العرش إقلاقاً .

ولا خاف - فى البأساء والضراء وحين البأس - من الله خذلاناً

إنه قد عرف منذ نُودى « اقرأ » أنه رسولٌ . يُعَبِّرُ فى كلِّ شأنٍ عن صفات من أرسله فهو عزيزٌ يستمد عزته من القوى العزيز .

رحيمٌ يستمد رحمته من الرحمن الرحيم .

مرسلٌ بالهدى ودين الحق . والله هو الحق ، وهو يهدى من

يشاء إلى صراطٍ مستقيم . من هنا لم تستطع جميعُ الوسائل أن

تحول بينه وبين ما أرسل له وما بُعث من أجله .

إنه قد انفعَلَ بالوحي انفعال من رأى القوة وشاهدها .

ومن عرف الرحمة واوتيتها .
 ومن اتصل بالله فأغناه الله عمن سواه
 إنه قد آمن بما أرسل به قبل أن يؤمن الناس .
 وعرف قَدْرَ ما أرسل به لأنه عرف قدر من أرسله .
 فلا غرابة أن نراه ﷺ يقول لعمه « والله لو وَضَعُوا الشمس فى
 يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى
 يُظهره الله أو أهلك دونه »
 قال ذلك : عندما قال له عمه : يا ابن أخى إن القوم جاؤونى
 فقالوا لى كذا فأبى على نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق .
 فظن الرسول ﷺ أن عمه خاذله وقال له ما لم يجر على لسان
 قط « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى »
 دلالة على أن جميع المحاولات لو بلغت هذا المبلغ لن تجعله
 يترك هذا الأمر . ثم بكى وولى .
 فقال أبو طالب أقبل يا ابن أخى .
 فأقبل عليه فقال : اذهب فقل ما أحببت والله لا أسلمك .
 ولا غرابة أن يعرض عليه موفد قريش ما يعرضه فتكون
 اجابته قرآناً يُتلى على موفد قريش ولا يزيد .
 ذلك أن قريشا قد اجتمعت يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر
 والكهانة والشعر .
 فليأت هذا الرجل الذى فُرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب
 ديننا .

فَلْيَكَلِّمَهُ وَلِيَنْتَظِرُ مَاذَا يُرَدُّ عَلَيْهِ .

فَقَالُوا : مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ .

قَالُوا : أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ .

فَأَتَاهُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللَّهِ ؟

أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمَطْلَبِ ؟

فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

قَالَ : فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الْآلِهَةَ الَّتِي

عَبَدْتَ وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلِّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ .

إِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِكَ مِنْكَ .

فَرَّقَتْ جَمَاعَتُنَا وَشَتَّتْ أَمْرُنَا ، وَعَبَدْتَ دِينَنَا ، وَفَضَحْتَنَا فِي

الْعَرَبِ حَتَّى لَقِدَ طَارَ فِيهِمْ أَنْ فِي قَرِيشٍ سَاحِرًا وَأَنْ فِي قَرِيشٍ

كَاهِنًا وَاللَّهِ مَا تَنْتَظِرُ إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةِ الْحَبْلِى أَنْ يَقُومَ بَعْضُنَا إِلَى

بَعْضٍ بِالسَّيْفِ حَتَّى نَتَفَاقَى .

أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنْ كَانَ بِكَ الْحَاجَةُ جَمْعَنَا لَكَ حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى

قَرِيشٍ رَجُلًا وَاحِدًا .

وَإِنْ كَانَ إِنْمَا بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرِ أَى نِسَاءِ قَرِيشٍ شِئْتَ فَلَنْزَوْجَكَ

عَشْرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَّغْتَ .

قَالَ نَعَمْ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمْدٌ (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا
قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ (٥) ﴿

حتى بلغ : قوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ
صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) ﴾

(الآيات من سورة فصلت : ١ - ١٣)

قال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا ؟

فقال رسول الله ﷺ : لا

فرجع عتبة إلى قريش .

فقالوا : ما وراءك

قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمون به إلا كلمته .

قالوا : فهل أجابك .

قال : والذي نَصَبَها بنية^(١) ما فهمت شيئا مما قاله غير أنه

أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود ..

إن الرسول ﷺ لم يجب عتبة بشئ فيما سال عنه أو أساء فيه

بغير القرآن .

وقد جاء فيما روى : إنم عتبة عندما انتهى الرسول ﷺ في

تلاوته إلى قوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ

صاعقة عاد و ثمود ﴾ أَرَعَدَ وَقَفَّ شعره ، وأمسك على فم الرسول

ﷺ بيده وناشده بالرحم أن يُمسك .. وقال حين فارقه « والله لقد

سمعت شيئاً ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة . ولقد ظننت
أن صاعقة العذاب على رأسى » .

وأنه عندما انصرف إلى قريش فى ناديها :
قالوا : « والله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى مضى به
من عندكم » .

ثم قالوا : ما وراءك أبا الوليد ؟
قال : والله لقد سمعت كلاماً من محمد ما سمعت مثله قط .
والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة .
فاطيعونى فى هذه وأنزلوها بى . خلّوا محمداً وشأنه واعتزلوه
فوالله ليكونن لما سمعت من كلامه نبأ .

فإن أصابته العرب كُفيتُموه بأيدي غيركم .
وإن كان ملكاً أو نبياً كنتم أسعد الناس به .
لأن ملكه مَلِككم وشرفه شرفكم .

فقالوا : هيهات ، سَحَرَكَ محمد يا أبا الوليد .
وقال : هذا رأى لكم ، فاصنعوا ما شئتم .

ويُروى أن عتبة عندما رجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش
واحتبس عنهم قال أبو جهل : يا معشر قريش والله ما نرى عتبة
إلا قد صبا إلى محمد وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة
أصابته .

فانطلقوا بنا إليه . فانطلقوا إليه .

فقال أبو جهل : يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبات إلى محمد

وأعجبك طعامه فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد . فغضب عبته وأقسم ألا يكلم محمدا أبدا .
وقال : والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا . ولكني أتيتهم وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ ﴾ .

فامسكت بفمه وناشدته الرحم أن يكف .
وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب ، فخشيت أن ينزل بكم العذاب .

ذاك هو القرآن والرسول يتلوه .

لم يجب الرسول بشيء غيره ولم يعالج ما هم عليه بأمر سواء القرآن . والرسول . ويا ليتنا ندرك هذه الحقيقة ليكون القرآن لنا منهجا وخالقا فلا ندفع بالسيئة السيئة وإنما ندفع بالحسنة السيئة:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣٤) (فصلت : ٣٤)

يا ليتنا نعتصم بالقرآن فنتعلم كيف نخاطب بالحق من آمن بالباطل وأن نتقى الله فيمن عصى الله فينا فننتصر الله لا لأهوائنا فما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تتقى الله فيه . يا ليتنا نحيا بفقه القرآن فلا نؤخذ بعيدا عن الحق بإغراء زينة أو متاع .
لقد رأينا ما عرّضه بن ربيعة على رسول الله ﷺ وما نطق به

من هراء وأهواء لم يردُّ الرسول ﷺ على شئ من ذلك بكلمة واحدة بعيداً عن القرآن وقد جاء الردُّ بالقرآن قاطعاً مُزهِقاً لكل باطل . بلاغاً وانذاراً للعالمين .

جاء القرآن بالحق الذى لا يستغنى عنه إنسان .

والذى سمعه عتبة فعاد إلى نادى قريش بغير الوجه الذى ذهب به وقال فيما قال « والله ليكونن لما سمعت من كلامه نبأ » وقد كان عتبة قد عَرَضَ على رسول الله ﷺ فيما عرض المال والنساء والملك .

إغراء لمن تعلق بدنياه . بها يستخفُّ من لم يؤقن بيوم الجزاء وبها يستدرج من تسوء عقباه .

أُمُورٌ يَعْرِضُهَا عتبة على رسول الله وهى اقصى ما يتمناه من رضى بالحياة الدنيا واطمان بها . ولا يلتفت إليها أو يؤخذ بها من كان يرجو الله والدار الآخرة - فما بالك برسول الله ﷺ

ولا تسل عن قيمة الإنسان عندما ينحصر فى هذه الدائرة الضيقة ولا يرى نفسه إلا بها . يُصْبِحُ عبداً لهذه الاعراض تملكه وإن تَوَهُّمُ أنه يملكها .

وقد انحصر المبطلون فى ذلك فلم يروا من مقومات عظمة الإنسان غير ذلك .

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٣٠) وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾

(الزخرف : ٣٠ ، ٣١)

ما مقومات العظمة لمن يرونها أحق بتنزيل القرآن عليه ؟ شاة أو
بغير يزدان بها عظيمٌ فى مكة أو الطائف .
وما دَرَوْا أن الإنسان لا يَعْظُم بأعراضٍ خارجة عنه .
ولأنما يَعْظُمُ بصفات قائمة فيه .
لا يعظم الإنسان حين يُقال ذو مال كثير .
ولأنما يُعظم عندما يكون ذا خلق عظيم .
وهم عندما قالوا « لولا نُزِلَ هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم »

إنما يعنون أكثرهم مالا فى مكة أو الطائف .
والرسل إنما جاؤا ليصلوا الإنسان بموطن عزته ويرتفعوا به
من الخلود إلى الأرض فلا يزل لصنم أو حجر أو شجر أو بشر أو
يسجد لشمس أو قمر يعزُّ الإنسان ويسمو عندما يخرج من عبادة
العباد إلى عبادة الله من عبادة المخلوق إلى عبادة الخلق .
وهذا ما جاءت به الرسل جميعا :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾
(الأنبياء : ٢٥)

وهذا ما تلاه الرسول ﷺ على عتبة - من صدر سورة
فصلت - فيما تلاه :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ
وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ (فصلت : ٦)

ومن عرف ذلك أخضع كل شئ من أعراض الحياة لهذه
الحقيقة .

حقيقة انه عبد لله لا لشيء سواه .

وهذا ما أمر به الرسول وما دعا إليه وما انتصر به .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٦) ﴾

(الرعد : ٣٦)

تلك هي حكمة الخلق وغاية الوجود .

إذا جهلها الإنسان صرعتة الأهواء والشهوات .

واستحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله .

لقد قالت قريش في رسول الله ما قالت وقد عبّر مؤفد قريش

بما يدور في نفوسهم فأعرض ﷺ عنهم وصدع بما أمر .

ورأيناه ﷺ يتلو عليهم ما خُوطبَ به .

﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ

(٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) ﴾

(الحجر : ٩٤ - ٩٦)

وما يقولونه وما يفعلونه ليس بخاف على الله ولا محجوبا عنه

وإن تناجوا به

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ

مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾

(الحجر : ٩٧ - ٩٩)

﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ .

ولا يخفى ما يدل عليه قول الله ﴿ولقد نعلم﴾ وما يترتب عليه.

أما بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه التكريم والتأييد والحفاوة والمؤانسة من الله وهو يخاطب نبيه بقوله ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾ كما يخاطبه بقوله ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ .

ويالها من قوة يستمد بها الرسول وهو يخاطب بهذا القول الكريم من ذي قوة عند ذي العرش مكين .
والقول يسند إلى جبريل باعتبار نزوله به ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ .
ولا تخفى دلالة ذلك على أولى الألباب .

وأما بالنسبة للآخرين فإن فيه دعوة لهم أن يتوبوا ويرجعوا فانهم ليسوا بسابقين ولا معجزين . والله محيط بما يقولون وما يفعلون ومن التسرية والتسلية لرسول الله ﷺ والإغراء لهم أن يتوبوا عما يقولون ما جاء في قوله تعالى في سورة فصلت .

﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣) ﴾ (فصلت : ٤٣)

إن ربك لذو مغفرة لمن تاب. وذو عقاب أليم لمن أَدْبَرَ واستكبر
لَسْتَ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ يُقَالَ لَكَ مَا قَدْ قِيلَ . فقد قيل للرسول
من قبلك ما قيل لك :

﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْتَنُونَ (٥٢) أَتَوَاصَرُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ (٥٣) فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ فَأَمَّا أَنْتَ يَا مُلْكُومَ (٥٤) وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) ﴾ (الذاريات : ٥٢ - ٥٥)

فليمض الرسول فى سبيله والله يكفيه

ولياخذ زاده من الصلة بالله دون مبالاة بما يفعله هؤلاء :

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ (٣٧) ﴾ (الزمر : ٣٦ ، ٣٧)

اليس الله بكاف عبده ؟ والمراد رسول الله ﷺ

بلى : هو كاف عبده . فإن دخول همزة الانكار على كلمة النفى تفيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها . فالاستفهام للتقرير . أو للنفى : ومعناه نفى النفى الذى دخل عليه ونفى النفى اثبات . وهو مبالغة فى الاثبات فمن ذا الذى يخيفه وما ذا يخيفه إذا كان الله معه .

« اليس الله بعزیز ذی انتقام » ؟ أى منيع الجنب لا يُضام من استند إلى جنابه ولجأ إلى بابه فإنه العزيز الذى لا أعز منه .

ولا أشد انتقاما منه ممن كفر به وأشرك . وعاند رسوله ﷺ وكذب .

وهكذا نرى القرآن الكريم مع الرسول ﷺ فى وقائع وأحداث والروح الأمين ينزل به فيقرأ الرسول بقرآته ويتلوه كما أنزل عليه . إن أعدى أعداء رسول الله ﷺ يرى فيه قوة وعزة تُرهَبُ وتُهاب وهو يتلو القرآن وليس من حوله قوة أو عتاد .

وهذا ما كان من عتبة وهو يمسك على فم الرسول بيده

ويناشده الرحم أن يُمسك . وقال حين فارقه « لقد ظننتُ أن صاعقة العذاب على رأسي » .

إنه القرآن

كم هزم المسلمون وانتصر هذا الكتاب
وكم نال العدو من ديارهم ولم يستطع مغالبة آية منه .
إنه القرآن الذي أخرجت به خير أمة .
بقي وحُفظَ لتحيا به قلوب وتنعم نفوس .

كما تحيا الأرض الطيبة بالغيث وتعطي عطاءها بإذن ربها
ويأله من تشبيهه يعبر عن حقيقة ما بعث به الرسول ﷺ حيث قال
ﷺ « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ
أَرْضًا... » فالغيثُ موجود وممدود ومحفوظ .

وإنك لتري الرسول ﷺ في التشبيه لا ينفصل عن القرآن
ولا ينفصل القرآن عنه لتعلم كيف تقرأ القرآن وكيف تهتدي به .
وأنت ترى ذلك في واقع .

فما كان لك أن تسمع القرآن من جبريل دون أن يتلوه عليك
بشر رسول وقد شاء الله أن يكون الهدى والنور للناس مقترباً
ببعثة الرسول .

وأن تكون تلاوة القرآن من نبي أمي لم يقرأ من قبله من كتاب
ولم يخطه بيمينه ليعرف على الدوام ماله من فضل ورحمة في
بعثه الرسول بالحق والهدى والنور .

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ

(٥٨) ﴿ (يونس : ٥٨)

فلا غرابة أن ترى المهابة في الرسول وفيما يتلوه من الكتاب .
 وأن ترى القوة والمتعة لمن اقتدى به واهتدى بهداه .
 لأن الأمر كله لله ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ .
 وللغيث النازل من السماء هزة في الأرض وحياة .
 وللهدى والنور المنزل على قلب الرسول تأثير وحياة للنفوس
 أي حياة .

﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين
 يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به
 من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد﴾ (٢٣) (الزمر : ٢٣)

إن الترابط بين الرسول والقرآن أو بين الرسالة والرسول قائم
 في كل ما تتلوه أو تسمعه من القرآن .
 وكثيراً ما ترى صفات للقرآن يوصف بها الرسول ﷺ من ذلك
 صفات : ذكر ونور وبشير ونذير وهدى ورحمة وهذا الامتزاج
 في الصفات .

يجعلنا نرى الرسول في القرآن ونرى القرآن الكريم فيه .
 فليس القرآن بالكتاب الذي يُقرأ للمعرفة والثقافة وكفى .
 وإنما هو الذكر الذي يُقرأ ويرى ويشاهد عملاً وخلقاً في الحياة
 يُقرأ في السطور .

ويسكن في الصدور .
 ويعمل عمله في القلوب نوراً وجلالاً ووجلاً وخشية .
 لذلك كان لا بد من تعهده في ورده يومى متصل

يُقرأ فيه القرآن الكريم بلا انقطاع في مدة لا تزيد عن شهر ولا تقل عن ثلاثة أيام .

والأ صدأت القلوب وراى عليها .

وقد نبه لذلك رسول الله ﷺ حيث قال : « إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد . قيل فما جلاؤها ؟ قال : ذكر الله وتلاوة القرآن » .

ونحن فى تطهير أجسادنا ونظافتها . هل يمكن أن نقول تَطَهَّرْنَا بالامس وذلك يغنيانا عن اليوم والغد ؟

أم أننا نداوم على الطهر ونغتسل مرات ومرات حتى لا يبقى شئ من درن . ومن عجائب القرآن - ولا تنقضى عجائبه - أنه لا يُمَلُّ ولا يخلق على كثرة الرد .

قيل لجعفر بن محمد الصادق : لم صار الشعر والخطب يُمَلُّ ما أعيد منها والقرآن لا يُمَلُّ ؟

فقال : « لأن القرآن حُجَّةٌ على أهل الدهر الثانى .

كما أنه حجة على أهل الدهر الأول .

فكل طائفة تتلقاه غَضًّا جديرا .

ولأن كل امرئ فى نفسه متى أعاده وفكر فيه تَلَقَّى منه فى كل

مرة علوما غَضَّة ، وليس هذا كله فى الشعر والخطب » .

فى روضة القرآن

تحتها ومثابرة

١٠ - تعهد ومثابرة :

إن تعهد القرآن والمثابرة على تدبره أمر لا بد منه لحياة الإنسان.

« والذي يتعاهد القرآن ويشتدُّ عليه ، له أجران ، والذي يقرأ القرآن وهو خفيف عليه ، مع السفرة الكرام البررة » كما قال رسول الله ﷺ وقيل لعبد الله بن مسعود : إنك لَتُنْقِلُ الصوم .

فقال : إنه يمنعني عن قراءة القرآن وقراءته أحبُّ إليَّ منه .
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : إن من أشراط الساعة أن يُبْسَطَ القول ويُخْزَنَ الفعل ويرْفَعَ الأشرار ، ويُوضَعَ الأخيار .
وإن تُقْرَأَ المِثْنَةُ على رؤوس الناس لا تُغَيَّرَ .

قيل وما المِثْنَةُ ؟ قال : ما اسْتُكْتِبَ من غير كتاب الله .

قيل له فكيف بما جاء من حديث رسول الله ﷺ ؟

قال : ما أخذتموه ممن تامنونه على نفسه ودينه فاعقلوه .

وعليكم بالقرآن فتعلموه ، وعلموه أبناءكم .

فإنكم عنه تُسألون ، وبه تُجزون ، وكفى به وأعظا لمن عقل .

عليكم بالقرآن تعلموه وتدبروه لتعملوا به وأنتم في صحبة

رسول الله ﷺ لتتخذوا معه سبيلاً للهدى والنجاة . فإنكم عنه

تُسألون ، وبه تجزون .

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) ﴿ (الفرقان : ٢٧ - ٢٩)

« يخبر الله تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول ﷺ وما جاء به من عند الله من الحق الذي لا مزية فيه . وسلك طريقاً أخرى غير سبيل الرسول فإن كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم وعض على يديه حسرة وأسفا فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ويعض على يديه قائلاً « يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يا ويلتا ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلاً » يعنى من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال من دعاة الضلالة .

« لقد اضلنى عن الذكر .. وهو القرآن بعد إذا جئنى أى بعد بلوغه إلى .

« وكان الشيطان للإنسان خذولاً » أى يخذله عن الحق ويصرفه عنه ويستعمله فى الباطل ويدعوه إليه .

« وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً .

يقول الله تعالى مخبراً عن رسوله ونبيه محمد ﷺ أنه قال :

« يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً »

« وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يستمعونه كما قال تعالى :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (٢٦) ﴿ (فصلت : ٢٦)

فكانوا إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللَّفْظ والكلام فى غيره حتى لا يسمعونَه فهذا من هجرانه وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه .

وترك تدبره وتفهمه من هجرانه .

وترك العمل به وامتنال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه .
والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه .

فنسأل الله الكريم المَنَّان القادر على ما يشاء أن يخلصنا مما يُسخطه ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه اثناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذى يحبه ويرضاه إنه كريم وهاب .

ذاك ما ذكره الإمام بن كثير فى تفسير هذه الآية .

وهذه الشكوى لها دلالتها فى ذاتها وفيما يترتب عليها

« وقال الرسول » أى بئاً وشكاية لله مما صنع قومه .

ومن تدبرها عرف ما فيها من تخويف لمن اتخذ القرآن مهجورا .

لأن الانبياء إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب .

أما بالنسبة للرسول ﷺ فقد سألَه ربه وسررى عنه حيث قال :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ

مُقَرَّفُونَ (١١٣) ﴿(الأنعام : ١١٢ - ١١٣)﴾

ذكر ابن جرير بسنده عن أبي ذر رضى الله عنه قال « أتيت النبي ﷺ في مجلس قد أطلال فيه الجلوس قال : فقال يا أبا ذر هل صليت » قلت لا يا رسول الله قال « قم فاركع ركعتين » .

قال : ثم جئت فجلست إليه .

فقال : « يا أبا ذر هل تعوذت من شياطين الجن والإنس ؟ »

قال : قلت لا يا رسول الله وهل للإنس من شياطين ؟

قال : « نعم هم شر من شياطين الجن »

﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً

ونصيراً ﴾ .

فلا يحول بين هداية الله ونصرته صد ولا عداوة وكيد .

﴿ وكفى بربك هادياً ونصيراً ﴾ لمن اتبع رسوله وآمن بكتابه

وصدقه واتبعه فإن الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة .

إن شكوى الرسول ﷺ في اتخاذ قومه القرآن مهجوراً .

لا تتوقف دلالتها على ما وقع أو يقع من هجران القرآن فذلك

حاصل في جميع الأمم من قبل . « كلما جاء أمة رسولها كذبوه »

ومع التكذيب كيدٌ وهجران .

لكن ذلك التكذيب والهجران فيه ابتلاءٌ وتَدْرِيصٌ لطلاب الحق

في أي زمان أو مكان . هل يثبتون على الحق أم يستخفون

ويستدرجون ؟

إن هجران القرآن الكريم تَعَدُّدُ صورته . وشكوى الرسول من

الهجران لا تقف عند زمن بعينه .

فإن القرآن الكريم محفوظٌ للزمن كُله نذيراً للعالمين
والشكوى إلى الله من كل من عدل عنه وضيّعه ستظل قائمة
ما بقى القرآن .

وهو باق محفوظ بحفظ الله لا يقترب من ساحته باطل .
ولا ينال من عزته متآمر أو جاحد . ولا يُبطل هدايته أو يطفئ
نوره شأن قوم أو هجران .

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ
مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) ﴾ (فصلت : ٤١ - ٤٢)

فالشكوى ممن عدل عنه وضيّعه شكوى إدانة له وتسجيل عليه
تذكر وتبصر وتندر .

فإن القرآن فى عزته وسلطانه لا يخاصم ولا يُنازع .
فإن « القرآن شافع مشفع ، وما حل مصدق . من شفع له
القرآن نجا ومن محل به القرآن يوم القيامة كبه الله لوجهه فى
النار . وأحق من شفع له القرآن أهله وحملته . وأولى من محل به
من عدل عنه وضيّعه » .

هكذا نرى عزة القرآن ومكانته وسلطانه « من اتبعه قاده إلى
الجنة ، ومن تركه أو أعرض عنه دح فى قفاه إلى النار . والدح :
دفع بعنف . فالشكوى من هجران القرآن : فيها تبصرة وتذكرة
وإعذار وإنذار والآية تُقرأ فى القرآن إنذاراً لكل من هجر القرآن
إلى آخر الزمان ولن يوقف مده أو تُحصَر هدايته . والله يهدى به
من يشاء ﴾ وكفى برّبك هادياً ونصيراً ﴿

فى روضة القرآن

جهاد
لا ينقطع

١١ - جهاد لا ينقطع :

إِنَّ جِهَادَ الرَّسُولِ ﷺ بِالْقُرْآنِ مَوْصُولٌ لَا يَنْقُطِعُ

وَقَدْ نَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفُرْقَانَ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا

« وَلَوْ شِئْنَا لَإِبْعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا » يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ

عِزٍّ وَجَلٍّ وَلَكِنَّا خَصَصْنَاكَ يَا مُحَمَّدٌ بِالْبَعْثَةِ إِلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ

وَأَمْرُنَا أَنْ تَبْلُغَهُمُ الْقُرْآنَ :

﴿ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ (الأنعام : ١٩)

﴿ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (٥٢) (الفرقان : ٥٢)

﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴾ يَعْنَى بِالْقُرْآنِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمَا فَجِهَادُ الرَّسُولِ ﷺ بِالْقُرْآنِ مَوْصُولٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ .

وَقَدْ بَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى النَّاسِ عَامَةً وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى

قَوْمِهِ خَاصَّةً .

وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ إِنَّ قَوْلَ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ مُخَاطَبًا رَسُولَهُ ﷺ .

﴿ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ خَاصٌّ

بِالرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ يَجَاهِدُ الْكَافِرَ فِي زَمَنِهِ وَيُنْذِرُهُم بِالْقُرْآنِ فِي

حَيَاتِهِ .

فَكَيْفَ تَقُولُ إِنَّ جِهَادَ الرَّسُولِ ﷺ مَوْصُولٌ لَا يَنْقُطِعُ ، إِذْ كَيْفَ

يَكُونُ ذَلِكَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ ؟

أعود فأقول : إننا نرى الرسول ﷺ في القرآن ونرى القرآن الكريم فيه .

فإنذاره ليس إنذاراً لمن كان في زمنه فحسب وإنما هو إنذار للعالمين إلى يوم الدين .

فلا ترى الرسول ﷺ منفصلاً عن القرآن وإن لقي ربه .
﴿ وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ (الأنعام : ١٩)
أى وهو نذير لكل من بلغه .

قال ابن حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج . حدثنا وكيع وأبو أسامة وأبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب في قوله (ومن بلغ) من بلغه القرآن فكانما رأى النبي ﷺ زاد أبو خالد « وكلمة » .

وقد رواه ابن جرير من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب قال : من بلغه القرآن فقد أبلغه محمد ﷺ « ومن بلغ » أى وهو نذير لكل من بلغه كما قال الله عز وجل ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ .

أى ومن يكفر بالقرآن من سائر أهل الأرض مشركهم وكافرهم ، وأهل الكتاب وغيرهم من سائر طوائف بنى آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم ممن بلغه القرآن « فالنار موعده » .
ومن هنا يُعلم أن للقرآن نوراً وناراً فمن أبى النور فالنار موعده .

وفى صحيح مسلم عن أبى موسى رضى الله عنه قال : «والذى

نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى أو نصرانى ثم لا يؤمن بى إلا أدخله الله النار .

وعن سعيد ابن جبير قال : كنت لا أسمع بحديث عن النبى ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه أو تصديقه فى القرآن .
فَبَلَّغْنِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى فلا يؤمن بى إلا أدخله الله النار » .
فجعلت أقول أين مصداقه فى كتاب الله ؟

قال : وقلمما سمعت عن رسول الله ﷺ إلا وجدت له تصديقا فى القرآن حتى وجدت هذه الآية ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ قال : من الملل كلها .
وبعد :

فإن الرسول ﷺ داع إلى الله بما أوحى إليه إلى قيام الساعة فليس بعده رسول ولا بعد الكتاب المنزل عليه كتاب .
﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ آلَمِّي الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾ (الاعراف : ١٥٨)
ولذا فإن الله عز وجل قد حفظ لنا سنة الرسول ﷺ كما حفظ الكتاب ليكون اتباع الرسول ﷺ على بينة والافتداء به على منهاج وشرعه .

حفظ الله سنة رسوله كما حفظ القرآن حتى لا يغيب عن الناس ذكر أو بيان فاتباع الرسول ﷺ اتباع للقرآن . وما سنه الرسول

ﷺ فبحكم الله سنّه .

كما قال الشافعي رضي الله عنه « وما سنّ رسول الله فيما ليس لله فيه حكم - فبحكم الله سنّه وكذلك أخبرنا الله في قوله ﴿ وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾ . ﴿ وقد سنّ رسول الله مع كتاب الله ، وسنّ فيما ليس فيه بعينه نصّ كتاب ﴾ « وكلّ مأسنّ : فقد الزمنا الله اتباعه وجعل في اتباعه طاعته ، وفي العنود عن اتباعه معصيته التي لم يعذر بها خلقاً ، ولم يجعل له من اتباع سنن رسول الله مخرجاً » .

وكذلك قال الإمام أحمد رضي الله عنه : « إن الله جل ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه بعث محمداً بالهدى ودين الحق : ليظهره على الدين كلّ ولو كره المشركون وأنزل عليه كتابه الهدى والنور لمن اتبعه .

وجعل رسوله : الدال على ما أراد : من ظاهره وباطنه ، وخاصّه وعامّه .

وناسخه ومنسوخه وما قصد له الكتاب .

فكان رسول الله هو : المعبر عن كتاب الله ، الدال على معانيه . شاهده في ذلك أصحابه الذين ارتضاهم الله لنبيّه ، واصطفاهم له ونقلوا ذلك عنه .

فكانوا هم أعلم الناس برسول الله ﷺ وبما أراد الله من كتابه بمشاهدتهم وما قصد له الكتاب .

فكانوا هم المعبرين عن ذلك بعد رسول الله .

قال جابر : ورسولُ الله بين أظهرنا عليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به .

لذا كانت حياة الرسول ﷺ كلها معلومة للناس لا يخفى منها شيءٌ أي شيء .

ما كان يعمل في داخل بيته من غسله ووضوئه ونومه ومعاشرته لأزواجه ومأكله ومشربه وما يدور في بيته من شئون وما يُعدُّ من طعام وما يُوقد من سراج . ما يلبسه وما يتطيب به . هيئة فراشه ومداعبته لأزواجه وملاطفته لأهل بيته ذكره لربه ، وقوفه في الصلاة بين يديه ، وما يتلوه من قرآن ، وما يواظب عليه من سنن ، وما يحرص عليه من نوافل .

في البيت زوجاتٌ يحدثن عن كل ما يقع منه في أخص شئونه دون حرج وفي خارج البيت حيث الأعين ترقبه والقلوب تتطلع إليه والنفوس مشوقة لرؤيته لا يكاد الباب يُفتح . ولا يكاد الرسول ﷺ يخرج إلى الناس في أي شأن من شئونه حتى ترى من يسجل كل شيء حتى حركات يده وقسمات وجهه ، وهيئة مجلسه وتبسمه .

يسجلون ما ينطق به وما يصدر عنه من قيام أو قعود أو انتقال .

والصحابية جميعا حريصون على أن يروه وأن يسمعوا منه بقدر حفاوتهم وحرصهم على التمسك بسنته والاهتداء بهديه .

إن صحابة رسول الله ﷺ لم يتركوا شأنًا من شئونه ،
تحدثوا عنه ولم يعرف فى تاريخ البشر قاطبة أن نبيًا ،
الأنبياء ، أو عظيمًا من العظماء اشتهرت سيرته ، وعُرفَ كلُّ شئ
عنه مثل ما تم لرسول الله محمد ﷺ خاتم النبيين الذى أرسله الله
رحمة للعالمين .

لقد حَفِظَ عنه كلُّ شئ . وقام بين أيدينا سجلٌ ناصع يقرؤه
القارئُ فيرى نفسه مع الرسول ﷺ بصفته وهيئته ، ومأكله
ومشربه ، وقيامه وقعوده ، وسعيه وعمله ، وطيبه وملبسه .
يراه قائما فى المسجد يؤم المصلين .

وفى الميدان يقود المجاهدين .
يراه مع اليتيم والضعيف والخادم فى البيت وفى الطريق
يقضى حاجتهم يراه بِسْمَتِهِ النيرة وحقيقته الكاملة من لحظة
بعثته إلى أن لقي ربه . بل من ساعة ولادته قبل أن يُبعث ويوحى
إليه .

يراه فى داخل بيته وخارجه صفحة مشرقة ليس فيها ما
يُطوى أو ينكر .

وسل كتب الحديث ترشدك .

ومصنفات المغازى تنبئك .

سل التاريخ الاسلامى - وما أجل شأنه - يعطيك خبره .

واستنبئ مسطرات الشمائل والدلائل وهى ترسم أثره .

وقبل هذا وبعده اقرأ كتاب الله تَعْرِفه ، وتأمل . هدايته تجده

عش فى روضة القرآن تكن فى صحبة الرسول ﷺ وصل حياتك به تصل فؤادك بالنور .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ (المائدة : ١٥ - ١٦)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) ﴾ (النساء : ١٧٤)

نعم فى دوحة القرآن ونور آياته تعرف الرسول وتراه .
وتدرك من أمره أنه خاتم النبيين وأنه قد جاء مبلّغا رسالات جميع الانبياء .

ألا نقرأ فى سورة الشورى :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْسِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣) ﴾ (الشورى : ١٣)

فدِينُهُ لَمْ يَدْعُ فَضْلًا لِمَاضٍ إِلَّا سَجَلَهُ .

ولم يترك أثرا لنبي - فيه عبرة وعظة - إلا وضحه وبينه .

فهو دين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد . دين الله

الذى ارتضاه ولم يرتض لأحد ديناً غيره .

لو أنهم خرجوا جميعاً إلى الخلق ما وسعهم إلا الإيمان به
ومناصرته والدعوة إليه .

« لو أن موسى ^{عليه السلام} حي ما وسعه إلا اتباعي » كما قال الرسول ^ﷺ
﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحَكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ مِّمَّنْ لَّمَّا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ
إِبْرَارِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٨١) ﴿

(آل عمران : ٨١)

في روضة القرآن

بين واحد

١٢- دين واحد :

إن الإيمان برسالة محمد ﷺ إيمانٌ برسالة الرسل جميعاً
والقرآن الكريم - المحفوظ بحفظ الله - جامعٌ لهم ولرسالاتهم
جميعاً وشماثل الرسول ﷺ - جامعةٌ لشماثلهم جميعاً وأخلاقهم
وهُدًى الله الذى هدى الله به الأنبياء هو الهدى الذى بُعث به
خاتمهم ودعا إليه وأمر ﷺ أن يقتدى بهداهم « أولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده » فلا انفصال بين رسالة الرسل ولا تفريق
بينهم ودينهم واحد ولا قبول للإيمان من أحد بغير الإيمان بهم
جميعاً « لا نفرق بين أحد من رسله » وتلك حقيقة إن غابت عن
ينسبون أنفسهم إلى أنبياء لم يكونوا صادقين أنهم أتباع أنبياء
ولما هم فى الحقيقة أتباع شهوات وأهواء لأن الأنبياء جميعاً
دينهم واحد ، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً وهذا
ما أرشد الله عباده المؤمنين إلى الإيمان به :

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن
رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة - ١٣٦)

أرشدهم إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ

مفصلاً وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً ونصّ على أعيان من الرسل وأجمل ذكر بقية الانبياء وأن لا يفرقوا بين أحد منهم بل يؤمنون بهم كلهم ولا يكونون كمن قال الله فيهم:

﴿ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١) ﴾ (النساء : ١٥٠ ، ١٥١)

فالإيمان برسالة محمد إيمان برسالة الرسل جميعاً

والتفريق بين الأنبياء كفرٌ بهم جميعاً

وتلك حقيقة لا يملك أحدٌ أن ينسب إلى الأنبياء ما يناقضها أو يخالفها وهي برهانٌ من براهين الحق على عالمية هذا الدين وأنه لا ريب فيه من رب العالمين :

﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾

(ص : ٨٧ ، ٨٨)

إن الروح العالمية سارية في كل شئ من أمر هذا الدين

في أصوله وفروعه وفي عقيدته وفرائضه.

وفي أخلاقه ومعاملاته

بل في شمائل الرسول ﷺ وقضائله.

في روضة القرآن

معجزة باقية

١٣ معجزة باقية :

فالحمد لله الذى حفظ لنا الدين فيما أنزل من كتاب وأرسل من رسول حفظ لنا الذكر فى كتاب عزيز لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا الكتاب هو المعجزة الباقية لمن أرسله الله رحمة للعالمين ويحفظ هذا الكتاب حُفِظَت الرسالة وحُفِظَ الرسول فلم يبق لأحد - إلى يوم الدين - أن يقول «مأ جاءنا من رسول» ولا أن يقول أين الدليل عليه حتى أو من به. فذاك الكتاب وهذا الرسول.

وأنت تقرأ القرآن لا يبعد عنك أن تراه فى واقع . تراه فى رسول الله ومن ربّاهم من صحابته الكرام والذين اتبعوهم بإحسان وترى أثره فىمن آمن به واهتدى بهداه.

فى روضة القرآن

مع الرسول
فى القرآن

صلى الله
عليه
وسلم

١٤. مع الرسول هي القرآن الكريم

أولا - في تربيته ونشأته والإعداد لرسالته.

إذ لا يغيب عنا من أمر نشأته وأعداده وتربيته وبعثته شيء .

ة. نشأ يتيما فآواه الله

وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه

ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنوات.

ثم كان في كفالة جده عبدالمطلب إلى أن توفي وله من العمر

ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع

من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه

بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره . هذا

وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان.

وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره

وتلك عناية الله به ورعايته له.

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا

فَأَغْنَى (٨) ﴾ (الضحى : ٦ - ٨)

ما ودعه الله أبدا ولا قلاه حتى قبل أن يعهد إليه بما أوحى إليه

لقد أحاط يئمة برعايته . وأدركت حيرته هدايته

وقد كان فقيرا فأغنى الله نفسه بفضله وعطائه.

إذ «ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس»

فما قللاه الله ولا جفاه من قبل أن يبعث ومن بعد

﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾

(سورة الضحى)

سورة الضحى هذه مكية وآياتها إحدى عشرة

ومجمل ماورد في سبب نزولها أن الوحي فتر عن رسول الله

ﷺ وأبطأ عليه جبريل عليه السلام.

فقال المشركون : ودع محمداً ربّه

فانزل الله تعالى هذه السورة . خالصة كلها للنبي ﷺ

تبين أنه موضع العناية والتكريم من بداية أمره إلى منتهاه.

وأنه موصول بالنعمة والعطاء في دنياه وأخراه

وأن زاده من الوحي ولقاء جبريل والاتصال بالله ممتد

لا ينقطع. سورة تبدأ بالقسم بالضحى والليل إذا سجي في آيتين.

وما بعد القسم كله خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن شاء أن يتدبر هذه السورة فليعلم أن ما خص الله به نبيه.

من إيواء وهداية وتعظيم يتلى في آيات الذكر الحكيم ليكون

بلاغاً للعالمين فمن ذا الذي يقرأ هذه السورة فلا يرى فيها رسول

الله كما أراه الله . يراه في يُثمه وقد آواه ربّه.

يراه في حيرته - طلباً لهداية قومه إلى صراطٍ مستقيم - وقد هداه

يراه عائلاً قد أغناه ربه بغناه.

يراه في الحياة - من بعد - مع اليتيم أباً يفوق في رحمته

رحمة الآباء وفي سخائه بنعمة الله يفوق كل سخاء.

بل يراه في حياته كلها يؤثر ما ارتضاه له الله « وللاخرة خير

لك من الأولى » وهو الذي يدعو ربه ويقول : الله اجعل زرق آل

محمد قوتا.

قالت عائشة رضي الله عنها : ما شبع عليه الصلاة والسلام

ثلاثة أيام تباعاً من خُبز حتى مضى لسبيله.

وقالت رضي الله عنها ما ترك عليه الصلاة والسلام ديناراً

ولا درهماً ولا شاة ولا بغيراً وقد قال ﷺ : إني قد عرض عليّ

أن تجعل بطحاء مكة ذهباً.

فقلت : لا يارب أجوع يوماً وأشبع يوماً.

فأما اليوم الذي أجوع فيه فاتضرع اليك وأدعوك.

وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك.

وقالت عائشة رضي الله عنها : إن كنا آل محمد لنمكث شهراً

ما نستوقد ناراً. إن هو إلا التمر والماء.

ولما احتضر النبي ﷺ استعارت عائشة رضي الله عنها زيت

سراجها من إحدى جاراتها.

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام أن مظاهر الزهد هذه كلها

كانت اختيارية غير اضطرارية. لم يكن يقصد منه التضيق على الناس فى الانتفاع بالطيبات . روى الامام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: اضطلع رسول الله ﷺ على حصير فأثر فى جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه. وقلت : يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً.

فقال رسول الله ﷺ «مالى وللدنيا إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها»

سورة الضحى يقرأها القارئ فى القرآن الكريم
فيرى فيها رسول الله ﷺ كما صنعه الله واصطفاه
سورة يبدأ القسم فيها بالضحى والليل إذا سجي. والمقسم عليه قوله «ما ودعك ربك وما قلى» وما بين المُقسم به والمُقسم عليه من تناسب فيه إحياء للنفس أي إحياء إذا ما لاحظنا ما يلقاه المؤمن من أحوال فى هجير الحياة وهو موصول دائماً بالله ناعم برضاه.

فلا يكونُ سجي الليل عليه إلا راحة وسكوناً ولا يكون الضحى إلا إشراقاً ونوراً ففى تقلب الليل والنهار عبرة لأولى الأبصار. وفى تقلب الأحوال إظهارٌ لمعادن الرجال والله وحده هو الذى يقلب الليل والنهار. والله وحده هو الذى يبتلى الناس بتقلب الأحوال فلا يكون الرجاء والخوف دائماً - إلا فى الله ومن الله . وهذا ما كان من رسول الله.

ثانيا - فى علاقته بغيره:

عندما نتدبر ذلك فى القرآن الكريم

نرى علاقته مع الناس جميعا علاقة رسول يبلغ ما أنزل إليه من ربه.

آمن بما أنزل إليه وتخلق به فكان داعيا إلى الله - مع البلاغ - بسائر أخلاقه وآدابه.

من الدين ، والعلم ، والحلم ، والصبر ، والشكر ، والعدل ، والزهد ، والتواضع والعفو ، والعفة والجود ، والشجاعة والحياء ، والمروءة والتؤدة ، والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وجميع صفاته يجمعها قول الله عز وجل «إناك لعلى خلق عظيم» وقد كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه. فقد صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سجية له وخلقاً فمهما أمره القرآن فعّله ومهما نهاه عنه تركه. هذا ما كان عليه من الخلق العظيم ﷺ .

روى الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادما له قط . ولا ضرب امرأة ، ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله . ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثما فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم.

ولا انتقم لنفسه من شئ يوتى إليه إلا تنتهك حرمة الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل.

وذاك ما جُبِلَ عليه وما أخبر الله به:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١٥٩) ﴿ (آل عمران : ١٥٩)

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨) ﴿ (التوبة : ١٢٨)

« فبما رحمة من الله لنت لهم » أى برحمة من الله .

وقال الحسن البصرى : هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به .

ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك «

والفظ : الغليظ المراد به وهنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك « غليظ

القلب » أى كنت سئ الكلام قاسى القلب عليهم لانفضوا عنك

وتركوك . ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم

كما قال عبدالله بن عمرو : إنى أرى صفة رسول الله ﷺ فى

الكتب المتقدمة أى ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخّاب فى

الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح .

« فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر »

ولذلك ، كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه فى الأمر إذا حدث

تطبيبا لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه . كما شاورهم يوم

بدر .

فقالوا : يا رسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك.

ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك.

ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . ولكن نقول : اذهب فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون.

وشاورهم يوم أحد فى أن يقعد فى المدينة أو يخرج إلى العدو.

فأشار جمهورهم بالخروج إليهم فخرج إليهم.

وشاورهم يوم الخندق فى مصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة

عامئذ

فأبى ذلك السُّعْدَان : سعد بن معاذ وسعد بن عباد . فترك

ذلك فكان ﷺ يشاورهم فى الحرب وفى غيرها.

وقد روى الإمام أحمد عن عبدالرحمن بن غنم أن رسول الله

ﷺ قال لأبى بكر وعمر : «لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما»

وروى بن مردويه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :

سئل رسول الله ﷺ عن العزم ؟ فقال « مشاورة أهل الراى ثم

اتباعهم ».

وروى ابن ماجه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال :

« المستشار مؤتمن »

فإذا عزم فتوكل على الله « أى إذا شاورتهم فى الأمر وعزمت

عليه فتوكل على الله فيه.

« إِنَّ اللَّهَ يَجِبُ الْمُتَوَكِّلِينَ »
هكذا كان رسول الله مع أصحابه.
وتلك خصائصه معهم ومع غيرهم
« لقد جاءكم رسول من أنفسكم » الخطاب بقوله « من أنفسكم
للعرب ولقريش

وهو كذلك خطاب للعالمين : لان هذا الرسول الذي عظم شأنه
بالرسالة هو من جنس البشر.
وَقُرِئَ « مِنْ أَنْفُسِكُمْ » بفتح الفاء من النفاسه ، ومعناه أنه من
أشرفكم وأفضلكم.

« عزيز عليه ما عنتم »
« عنتم » من العنت بمعنى المشقة والفساد والهلاك.
شاق عليه عنتم وهو ما تلقونه من عذاب الدنيا أو عذاب
الآخرة.

فإن النبي ﷺ يشق عليه كل ما يشق ويصعب عليكم.
« حريص عليكم »

ومادة « حرص » إذا تعدت بحرف على .
فانها تدل على شدة الطلب وغاية الحرص.
وهكذا كان الرسول ﷺ يرغب في نفع أمته غاية الرغبة.
فأمنيته صلاح الأمة وهدايتها.

ومع ما كان يلقاه من قومه من أذى لم يدع عليهم بل دعا لهم
« اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » كان شديد الحرص على

هدايتهم شديد الحزن لتركهم الإيمان وبعدهم عنه كما قال الله عز وجل:

﴿ قَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (سورة الكهف : ٦)

باخع نفسك : أى مهلك نفسك بحزنك عليهم.

« إن لم يؤمنوا بهذا الحديث » يعنى القرآن.

« أسفًا » أى لا تهلك نفسك أسفًا.

لا تأسف عليهم بل أبلغهم رسالة الله فمن اهتدى فلنفسه ومن

ضل فلنما يضل عليها :

﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ (فاطر : ٨)

فأى حرص أعظم وأبلغ من ذلك

والله عز وجل يُسَلِّيه وَيُسْرِى عنه ليخفف من أسفه عليهم

وحزنه البالغ على تركهم الإيمان وبعدهم عنه وهو يعلم ما هم

صائرون إليه إن لم يؤمنوا بما جاءهم به.

« بالؤمنين رءوف رحيم »

قال الحسن بن الفضل : لم يجمع الله لأحد من أنبيائه اسمين

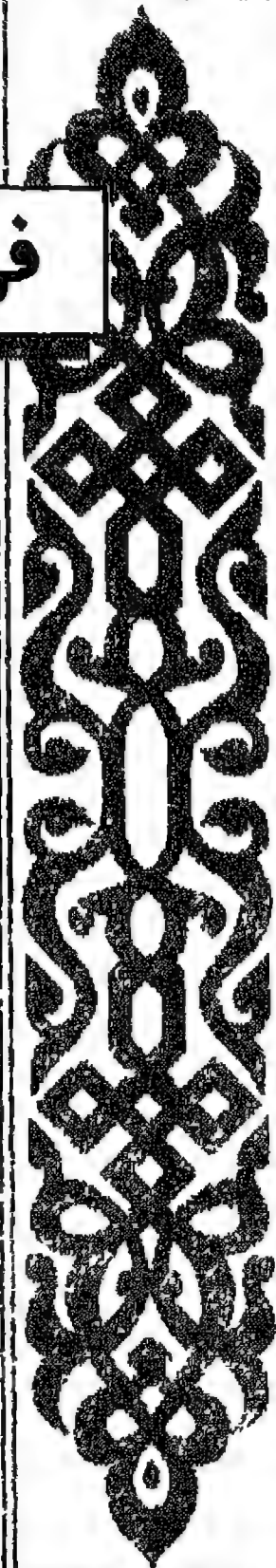
من اسمائه تعالى :

إلا للنبي ﷺ فسماه رءوفًا رحيمًا.

وقال تعالى : « إن الله بالناس لرءوف رحيم ».

فى روضة القرآن

الرسول
صلى الله عليه وسلم
فى أهل بيته



١٥- الرسول (ص) فى أهل بيته،

إن لبيوت النبى ﷺ من زيارة جبريل عليه السلام - وهو ينزل بالوحى - أوفر نصيب.

عبّرت عن ذلك أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها عندما زارها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما بعد وفاة النبى ﷺ فبكت. فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ .

فقالت : أعلم ذلك وإنما أبكى انقطاع الوحى. لم يعد جبريل يأتينا بعده.

من المعلوم أن رسول الله ﷺ قد تزوج خديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة. وقد شاء الله أن تكون خديجة رضى الله عنها هى التى تستقبله عندما رجع من غار حراء بعد أن جاءه جبريل عليه السلام بالوحى من عند ربه وقال « اقرأ ».

دخل ﷺ على خديجة وقال « زملونى زملونى » فزملوه حتى ذهب عنه الروع.

فقال : يا خديجة مالى وأخبرها الخبر. لقد خشيتُ على نفسى - لأنَّ الملك غطّه حتى بلغ منه الجهد . ولم يكن عليه الصلاة والسلام علم قبل ذلك بجبريل.

فقالت له : كلا والله ما يخزيك الله أبدا.....»

ان خديجة رضى الله عنها قد عرفت من قبل فعرفت خلاله وخصاله.

فأدركت بفطرتها أن الله قد اختاره لهداية قومه . واستوثقت حين انطلقت برسول الله ﷺ إلى ابن عمها ورقة وهو ممن اطلع على كتب الأقدمين وله علم بحال الرسل. فسمع من رسول الله ﷺ وأكد ما أدركته خديجة بفطرتها وعبرت عنه بقولها «والله ما يخزيك الله أبدا...» حيث قال ورقة :

«هذا الناموس الذي نزل الله على موسى . لأنه يعرف أن رسول الله إلى أنبيائه هو جبريل عليه السلام.

بيتٌ قد هيئ من قبل لاستقبال هذا النبا العظيم.

فكانت خديجة أول من عرفت وصدقت وبلغت ابن عمها بما عرفت وكانت ذات فطنة حين خطبته لنفسها وأثرتة على جميع قومها.

«قالت نفيسة بنت منية: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن العزى بن قصي امرأة حازمة جادة شريفة ، أوسط قریش نسياً وأكثرهم مالا.

وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك. قد طلبوها وبذلوا لها الأموال.

فأرسلتني «دسيسا» والمقصود أنها أرسلتها سرا لتأتى لها بالخبر - إلى محمد بعد أن رجع من الشام.

فقلت يا محمد : ما يمنعك أن تزوج ؟

فقال : ما بيدي ما أتزوج به.

قلتُ : فإن كُفيتَ ذلك ورُعيتَ إلى الجمال والمال والشرف
والكفاءة ألا تُجيب ؟

قال : فمن ؟

قلتُ : خديجة.

قال : وكيف بذلك ؟

قلت : عليّ.

قال : وأنا أفعل.

فذهبتُ فماخبرتها.

فأرسلت إليه أن ائت لساعة كذا وكذا.

وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر.

ودخل رسول الله في عمومته فستزوجها وهو ابن خمس
وعشرين سنة، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة.

وقد حضر أبو طالب ومعه بنو مضر : فقال أبو طالب.

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ،
وضئضئ معد.

وعنصر مضر.

وجعلنا حضنة بيته وسوأس حرمه ، وجعل لنا بيتا محجوجا

وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس.

ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبدالله لا يوزن به رجل إلا رجح به.

فإن كان فى المال قُلٌّ. فإن المال ظل زائل وأمر حائل.
ومحمد من قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد
وبذل لها الصداق ما آجله وعاجله من مالى.
وهو بعد هذا والله له نبأ عظيم وخطر جليل.
فتزوجها رسول الله ﷺ .

مقدمات تنبئ عن معرفة وكلمات دالة على حقيقة.
خديجة - وهى من هى - تطلبه لنفسها وتؤثره على جميع من
سواه - مع أنه فى المال قُلٌّ وعمه أبو طالب يقول فيما قال «إن ابن
أخى محمد بن عبدالله لا يوزن به رجل إلا رجح به»
ويقول «وهو بعد هذا والله له نبأ عظيم وخطر جليل».

ومحمد بن عبدالله يومئذ ابن خمس وعشرين سنة أى قبل
بعثته بخمسة عشر عاماً وخديجة من بعد - وقد عرفت وأيقنت -
تقول : «كلا والله ما يخزنك الله أبداً إنك لتصل الرحم ، وتحمل
الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق».
وجعفر ابن أبى طالب يقول للنجاشى حين سأل ما هذا الدين
الذى فارقتم فيه قومكم ؟

فقال جعفر رضى الله عنه فيما قال : أيها الملك كنا قوما أهل
جاهلية نعبد الأصنام

ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار
يأكل القوي الضعيف.

فكنا على ذلك حتى بعث الله عز وجل إلينا رسولا منا نعرف

نسبه وصدقه وأمانته وعفافه.

فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن
وأباؤنا من دونه.....»

وأبو سفيان ابن حرب يقول حين سئل من قيصر عن النبى
ﷺ : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟
قال: لا

فقال الملك : سألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول
ما قال فزعمت أن لا فقلت : ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب
على الله .

وأبو سفيان يومئذ عدو يقود قومه فى حرب ضد رسول الله
ﷺ .

إجماع أى إجماع على صدقه وأمانته فى حياته كلها.
فلا عجب أن تطلبه خديجة رضى الله عنها لنفسها وأن يتكون
بها أول بيت لحمد بن عبدالله قبل أن يبعث ليكون خاتم الانبياء.
ولما بُعث ﷺ كانت أول امرأة آمنت به ولم يتزوج غيرها حتى
ماتت وجميع أولاده منها سوى إبراهيم.

وقد توفيت بعد أن مضى من النبوة عشر سنين وهى بنت
خمس وستين سنة رضى الله عنها وأرضاها عشر سنين قضتها
خديجة مع رسول الله وهو نبى . وجبريل يأتيه بالوحى مزملا
ومدثرا فى بيتها . يناديه بنداء الله : ﴿ياأيها المزمل قم الليل إلا
قليلًا.....﴾

﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾ :

وهي ترى رضى الله عنها كيف كان الرسول يقوم الليل ويأتو القرآن وكيف صدع بما أمر به وأنذر عشيرته الأقربين.
رأت كيف كان جحود الجاحدين وتكذيب المكذبين وإنكار المبطلين.

وكيف كان الأذى يقع منهم على من آمن بالرسول واستجاب لدعوته.

ولقد لقي الرسول ﷺ من الأذى والشدة ما لقي .
خصوصا إذا ذهب إلى الصلاة عند البيت.
وكان من أعظمهم أذى لرسول الله جماعة تسموا لكثرة أذاهم بالمستهزئين:

أولهم وأشدهم . أبو جهل عمرو بن هشام . وأبو لهب بن عبدالمطلب عم رسول الله وعقبة بن أبي معيط ، والعاص بن وائل السهمي القرشي والد عمرو بن العاص وغيرهم.

ومنهم من كان جاراً لرسول الله كأبي لهب وعقبة بن معيط.
كان أبو لهب يرمى القذر على بابه. فكان رسول الله ﷺ يطرحه ويقول:

يابنى عبد مناف أى جوار هذا ؟
وكانت تشاركه في قبيح عمله زوجه أم جميل بنت حرب بن أمية

فكانت كثيرا ما تسب رسول الله وتتكلم فيه.

وكان عقبة ابن أبى معيط الجار الثانى لرسول الله وكان يعمل
مبعه كإبى لهب ومن أشيد مباحصه هذا الشقى برسول الله
ما رواه البخارى فى صحيحه.

قال : بينما النبى صلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة ابن
أبى معيط فوضع ثوبه فى عنق رسول الله فخنقه خنقا شديدا.
فاقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبيه ودفعه عن النبى وقال :
﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

(غافر : ٢٨)

ومن أذيته للرسول ﷺ ما حكاه عبدالله بن مسعود من رواية
البخارى رضى الله عنه :

قال : كنا مع رسول الله فى المسجد وهو يصلى.
فقال أبو جهل : ألا رجل يقوم إلى فرث جزور بنى فلان فيلقيه
على محمد وهو ساجد ؟

فقام عقبة بن أبى معيط وجاء بذلك الفرث فالتقاء على النبى ﷺ
وهو ساجد، فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على
إلقائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم.

ولم يزل ﷺ ساجدا حتى جاءت فاطمة بنت رسول الله
فاخذت القدر ورمته فلما قام دعا على من صنع هذا الصنيع
القبيح فقال : اللهم عليك بالملأ من قريش وسمى أقواما . قال ابن
مسعود : فرأيتهم قتلوا يوم بدر.

والرسول صلى الله عليه وسلم يلقى ما يلقاه من أدنى فى مكة

وخديجة رضى الله عنها تعلم بكل ما يلاقيه وهى توقن كل اليقين
أن الله ناصره وحافظه وهى التى قالت له من قبل «والله
ما يخزيك الله أبدا».

والرسول ﷺ يذكر صنيعها ويثني عليها وهو يعرف قدرها
عند ربها.

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ لا يكاد
يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها الثناء.
فذكرها يوما من الأيام فادركتنى الغيرة فقلت : هل كانت إلا
عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها ؟

قالت : فغضب حتى اهزأ مقدم شعره من الغضب.

ثم قال : لا والله ما أخلف الله لى خيراً منها.

لقد آمنت بى إذ كفر الناس.

وصدقتنى إذ كذبنى الناس.

وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس.

ورزقنى الله عز وجل أولادها إذ حرمنى أولاد النساء.

قالت : فقلت بينى وبين نفسى لا اذكرها بسوء أبداً.

هكذا كانت خديجة رضى الله عنها لها شأنها ومكانتها عند

رسول الله .

ولها أجرها وفضلها عن ربها لقد جاءها السلام من ربها ومن

جبريل وهى فى بيتها.

روى البخارى عن أبى هريرة قال:

أتى جبريل النبى ﷺ فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت،
معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب.

فإذا هى أتتك فاقراً عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببیت
فى الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب.

لقد أقامت خديجة رضى الله عنها مع رسول الله ﷺ أربعاً
وعشرين أو خمسا وعشرين سنة توفيت فى رمضان سنة عشر
من النبوة بمكة المكرمة.

رأينا كيف تزوجها الرسول ﷺ وكيف عرفته فخطبته لنفسها.
تزوج الرسول ﷺ بعد خديجة سودة بنت زمعة بن قيس بن
عبدشمس كانت قبل النبى ﷺ تحت السكران بن عمرو.
أسلمت ثم أسلم زوجها لترغيبها إياه فى الاسلام.

وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها وامها.
توفى السكران بالحبشة فتزوجها رسول الله ﷺ سنة عشر
من النبوة بعد وفاة خديجة لينقذها من يؤس الترميل وشماتة
أهلها.

كانت ابنة خمسين عاماً حين تزوجها الرسول وبقيت معه أربعة
عشر عاماً

جعلت سودة يومها لعائشة بعد سنوات رضى الله عنها.
ثم تزوج عائشة رضى الله عنها فى شوال سنة عشر من
النبوة بمكة وبنى بها فى شوال سنة إحدى من الهجرة بالمدينة
المنورة.

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ .

«أريتك فى المنام ثلاث ليالى ، جاءنى بك الملك فى سرقة من حرير.

فيقول : هذه امرأتك ، فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي، فأقول : إن يك هذا من عند الله يُمضيه» ورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها.
ما رواه البخارى عن أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها قال النبى ﷺ :

«والله ما نزل عليّ الوحي وأنا فى لحاف امرأة منكى غيرها» وقد أمر النبى ﷺ فاطمة رضى الله عنها بأن تحب عائشة. ففى صحيح مسلم قال النبى ﷺ لفاطمة:
«أى بنية ألسْتُ تحبين ما أحب ؟ فقالت : بلى.
قال : فأحبى هذه»

ويدل على فضل عائشة رضى الله عنها ما ورد فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لها «ان جبريل يقرأ عليك السلام» قالت : قلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها. تزوجها الرسول فى شعبان سنة ثلاث من الهجرة. كانت قبل رسول الله تحت خنيس بن حذافة بن قيس. وكان ممن تقدموا فى الإسلام هاجر هجرتين الى المدينة،

وشهد بدرأ واحدا وأصيب فى غزوة أحد فتوفى بالمدينة.
ولما تأملت حفصة ذكرها عمر لأبى بكر وعرضها عليه فلم
يرجع أبو بكر كلمة فغضب من ذلك عمر.
ثم عرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ .
فقال عثمان : ما أريد أن أتزوج اليوم.
فانطلق عمر إلى رسول الله ﷺ فشكا عثمان وأخبره بعرضه
حفصة عليه فقال رسول الله ﷺ .
«يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هى
خير من حفصة».

ثم خطبها إلى عمر فتزوجها رسول الله ﷺ .
فلقى أبو بكر عمر بن الخطاب فقال له : لا تجد عكبي فى نفسك
فإن رسول الله كان ذكر حفصة فلم أكن لأفشى سر رسول الله
ﷺ ولو تركها لتزوجتها .
أثنى عليها جبريل فقال : إنها صوامة قوامة وإنها زوجتك فى
الجنة.

وفى سنة ثلاث من الهجرة.
تزوج الرسول ﷺ زينب بنت خزيمة رضى الله عنها.
وكانت تدعى أم المساكين فى الجاهلية.
تزوجها أولا طفيل ثم تزوجها عبيده وهما ابنا الحارث بن
عبدالمطلب عم النبى ﷺ ثم تزوجها عبدالله بن جحش ابن عمه
النبى ﷺ وأخو زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها فلما

استشهد عبد الله بن جحش فى غزوة أحد تزوجها النبى ﷺ وعاشت بعد النكاح شهرين أو ثلاثة أشهر وهى اخت ميمونة لأم ثم تزوج الرسول ﷺ أم سلمة هند رضى الله عنها سنة أربع من الهجرة.

وكانت قبل النبى ﷺ عند أبى سلمة بن عبدالأسد. وهى ممن اسلم قديما واسلم أبو سلمة بعد عشرة رجال. وكانت أمه بره بنت عبدالمطلب عمه رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ وحمزة وأبو سلمة كلهم اخوه من الرضاعة هاجرت مع زوجها الى الحبشة ثم عادا الى مكة. ولما أراد أبو سلمة وأم سلمة الهجرة الى المدينة مع ولدهما سلمة انتزع أهل أبى سلمة من أبى سلمة ولده وقالوا : اذهب أنت وحدك وليس لك من الابن شئ فانه منأ. وكذلك انتزع منه أهل أم سلمة أم سلمة وقالوا : ليس لك منها شئ.

وكان أبو سلمة رجلا قوى الاسلام راسخ العزم فأبى إلا أن يهاجر إلى المدينة المنورة فأخذ سبيله إلى الله ورسوله. وبقيت أم سلمة فى مكة وكانت تخرج كل غداة وتجلس بالمكان الذى كانت فارقت به زوجها وما زالت تبكى طوال السنة. ثم خرجت أم سلمة مهاجرة إلى المدينة وخرج معها عثمان بن أبى طلحة وكان يومئذ كافرا. فكان ينزل بناحية منها إذا نزلت ويسير معها إذا سارت

ويرحل بعيرها وينتحي إذا ركبت.

فلما نظر إلى نخل المدينة قال لها هذه الأرض التى تريدان ثم
سلم عليها وانصرف.

شهد أبو سلمة بدرا وجرح يوم أحد جرحاً اندمل ثم انتقض
فمات منه وكان يقول : اللهم اخلفنى فى أهلى بخير وقد خلف
وراءه أطفالاً صغاراً.

ثم تزوج رسول الله أم سلمة لحبه لأبى سلمة الذى التزم
الصدق والاستقامة فى سبيل الاسلام وقد تحملت أم سلمة
الشدائد فى سبيل الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة.

وكان عمر وسلمة وزينب ودره ربيب رسول الله ﷺ
ترعرعوا تحت رعايته.

وتزوج زينب بنت جحش سنة خمس من الهجرة

هى زينب بنت جحش وأما اميمة بنت عبد المطلب عمه رسول
الله ﷺ كانت قبل النبى ﷺ تحت زيد بن حارثة الذى ينتهى نسبه
إلى قضاة . ونسب أمه إلى معن بن طى .

احتمله قوم فى الجاهلية وهو يومئذ غلام .

فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه منهم حكيم بن
حزام لعمته خديجة .

فلما تزوجها رسول الله وهبته له فقبضه رسول الله ﷺ .

فخرج والده وعمه حارثة وكعب ابنا شرحبيل بفدائه وقدا
مكة فسالوا عن النبى ﷺ فدخلا عليه وقالوا له :

جئناك فى ابننا عندك فامن علينا وأحسن إلينا فى فداءه لكن
زيد بن حارثة أبى أن يذهب مع أبيه واختار البقاء مع رسول الله
وكان زيد يُدعى بن محمد لحب رسول الله له .

تزوج زيد زينب بنت جحش وكان لزواجها وطلاقها من زيد
آيات وأحكام أصلح الله بها عادات كانت شائعة ببركة زواجها من
رسول الله بأمر الله . وكانت تفخر بذلك وتقول « أنا التى زوجنى
ربى » .

نعم : هى التى زوجها ربها وأنزل فى شأنها آيات تُثلى
وأحكام .

وتزوج رسول الله جويرة بنت الحارث بن ضرار بن حبيب بن
عائذ بن مالك بن جذيمة . وجذيمة هو المصطلق بن خزاعة .
سبأها رسول الله ﷺ يوم المريسيع فى سنة خمس من
الهجرة .

وكانت قد وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبته
على نفسها .

فأتت رسول الله تستعينه على كتابتها فقالت : إنى مسلمة ، ثم
أخبرت أنها بنت الحارث بن ضرار سيد قومه .

فقال لها : « هل لك فى خير من ذلك » ؟

قالت : وما هو يا رسول الله ؟

قال : « اقضى كتابتك وأتزوجك » .

قالت : نعم

قال : « قد فعلت » .

وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله تزوج جويرية بنت
الحارث .

فقال الناس : صهر رسول الله ﷺ فأرسلوا ما فى أيديهم من
سبايا بنى المصطلق .

قالت عائشة : « فلا نعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها
منها » .

وكانت جويرية عابدة زاهدة .

عن جويرية رضى الله عنها أن النبى ﷺ خرج من عندها بكرة
حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحى
وهى جالسة قال : « ما زلت على الحال التى فارقتك عليها » .
قالت : نعم .

قال النبى ﷺ : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات .
لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحانه الله وبحمده عدد
خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » .

تزوجها الرسول ﷺ سنة خمس من الهجرة .
ثم تزوج أم حبيبة : رملة بنت أبى سفيان بن حرب سنة ست
من الهجرة أسلمت قديماً وكانت أولاً عند عبيد الله بن جحش وكان
قد هاجر إلى أرض الحبشة مسلماً ثم تنصر هناك . وبقيت
أم حبيبة مسلمة بأرض الحبشة تركت أباهاً وعشيرتها ووطنها
فى سبيل الإسلام .

وكان زوجها معها فى الهجرة ولكنه ارتد فلم يكن لها أحد ولما بلغ ذلك رسول الله أرسل عمرو بن أمية الفهري إلى النجاشى بأن يبلغ أم حبيبة خطبة النبى ﷺ .

فأرسل إليها النجاشى جارية له كانت تقوم على ثيابه ودهنه وكانت أم حبيبة قد رأت فى المنام أن أحداً يناديها بأمر المؤمنين . ولما سمعت خبر رسول الله ﷺ شكرت الله وأعطت الجارية سوارين من فضة كانتا عليها . وخواتيم من فضة كانت فى أصابعها سروراً بما بُشِّرَتْ به .

ثم أمر النجاشى بحضور جعفر بن أبى طالب ومن معه من المسلمين .

وخطب النجاشى فقال : الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر . أشهد أن إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . وأنه الذى بُشِّرَ به عيسى بن مريم ﷺ . أما بعد :

فإن رسول الله كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان . فاجبت ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقته أربع مائة دينار.

ثم سكب الدنانير بين يدى القوم . فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحمدته واستعينه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أما

بعد :

فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسوله عليه السلام .
ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ثم أرادوا أن يقوموا فقال : اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعاماً على التزويج فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا .
وكانت أم حبيبة طيبة النفس حميدة الصفات . وكانت جوادة شجاعة .

روى ابن اسحاق : أن أبا سفيان لما قدم المدينة دخل على ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه .
فقال : يا بنية ما أدرى أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟

قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ .
قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر .
قالت عائشة رضى الله عنها : دعتنى أم حبيبة عند موتها فقالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك فقلت : غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحلك من ذلك كله .

فقالت : سررتنى سررك الله .
وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك
ثم تزوج صفية رضى الله عنها سنة سبع من الهجرة :

وهي صفية بنت حيى بن اخطب بن شعبة بن ثعلبة من
بنى اسرائيل من سبط هارون بن عمران وأمها برة بنت سمّوأل .
كانت أولا عند سلام بن مشكم ثم خلف عليها كنانة بن
أبى الحقيق فقتل يوم خيبر .

وكانت صفية من سبايا خيبر .
اصطفاها الرسول ﷺ لنفسه فأسلمت وأعتقها .
وجعل عتقها صداقها .

ويروى أن رسول الله دخل على صفية وهي تبكى فقال لها :
« ما يبكيك » .

قالت : بلغنى أن عائشة وحفصة تنالان منى وتقولان نحن
خير من صفية ، نحن بنات عم رسول الله وأزواجه . قال ﷺ :
« ألا قلت لهن كيف تكن خيراً منى وأبى هارون وعمى موسى
وزوجى محمد » صلى الله على سيدنا محمد وعلى هارون
وموسى ورسلى الله جميعاً .

وروى أن النبى ﷺ خيرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقى
من أهلها أو تسلم فيتخذها لنفسه .

فقالت : أختار الله ورسوله .

وتزوج الرسول ﷺ ميمونه بنت الحارث سنة سبع من الهجرة

وهي ميمونه بنت الحارث بن حزن بن بحير بن الهرم

كانت قبل النبى ﷺ تحت أبى رهم ابن عبد الغرى .

وكانت قبل أبى رهم عند حويطب بن عبد الفرى .

كانت قد تأيمت حين خرج النبى ﷺ معتمرا سنة سبع .

فذكرها العباس لرسول الله ﷺ فتزوجها النبى ﷺ .

وهى اخت لبابة والدة ابن عباس رضى الله عنهما لأبيها وأمها .

وأخت زينب بنت خزيمة لامها التى تزوجت رسول الله ﷺ

سنة ثلاث من الهجرة وأقامت عنده ثلاث أشهر ثم توفيت من

عامها هذا .

تلك بيوت النبى ﷺ التى ارتبطت بها أحكام ونزل فيها قرآن

وخطبت نساء النبى ﷺ بما خوطبن به من آيات الله والحكمة

وخيرن فاخترن فكنن بما اخترن أمهات المؤمنين .

وكان لاختيارهن شأن أى شأن فى طهر البيوت واستقامتها

حيث اخترن الله ورسوله والدار الآخرة .

وكنن - بما اخترن - أسوة لبناتهن إلى أن يرث الله الأرض ومن

عليها

فى روضة القرآن

آيات الله
والحكمة تتلى
فى بيوت النبى

١٦ - آيات الله والحكمة هي بيوت النبي :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُمْ وَأَسْرِحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ (٢٨) وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمُ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمُ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْتُلْ مِنْكُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقرن في بَيوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) ﴿ (الأحزاب : ٢٨ - ٣٤)

الرسول ﷺ يتلو على نساؤه ما أنزل الله في شأنهن وما أنزله الله في شأنهن - يُتْلَى على الناس جميعا وفي ذلك دلالات لا تخفى على من أحسن التدبر :

أولا : أن الله عز وجل قد أمر رسوله ﷺ بأن يُخَيِّرَ نساؤه بَيْنَ أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا

وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله تعالى الثواب الجزيل .

فاخترن رضى الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة .
فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة .
روى الإمام أحمد عن جابر رضى الله عنه أن أبا بكر رضى الله عنه يستأذن رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس والنبى ﷺ جالس فلم يؤذن له .

ثم أقبل عمر رضى الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له .
ثم أذن لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فدخلا والنبى ﷺ جالسٌ وحوله نساؤه وهو ﷺ ساكت .

فقال عمر رضى الله عنه لا كلمن النبى ﷺ لعلّه يضحك .
فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد -
امراة عمر - سألتنى النفقة آنفاً فوجأت عنقها .
فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه وقال : « هنٌ حولى يسألننى النفقة » .

فقام أبو بكر رضى الله عنه إلى عائشة ليضربها .
وقام عمر رضى الله عنه إلى حفصة ، كلاهما يقولان تسألان النبى ﷺ ما ليس عنده فنهاهما رسول الله فقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده .

قال : وأنزل الله عز وجل الخيار .
قبداً بعائشة رضى الله عنها فقال : إني أذكر لك أمراً ما أحب

أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك .

قالت : وما هو ؟

قال : فتلا عليها « يا أيها النبى قل لأزواجك » الآية .

قالت عائشة رضى الله عنها : أفيك استأمر أبوى ؟

بل اختار الله تعالى ورسوله . وأسالك ألا تذكر لامرأة من

نساءك ما اخترت .

فقال ﷺ : « إن الله تعالى لم يبعثنى معنفا ولكن بعثنى معلما

ميسرا ، لا تسألنى امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها » .

كلهن قد اخترن الله ورسوله والداراة الآخرة :

قال عكرمة : وكان تحته يومئذ تسع نسوة .

خمس من قريش : عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة

وأم سلمة رضى الله عنهن وكان تحته ﷺ صفية بنت حسي

النضيرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش

الاسدية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضى الله عنهن

وارضاهن أجمعين وفى اختيارهن ما اخترن - وفرح الرسول ﷺ

بما اخترن بيان لما يجب أن يؤثّر دائما ويطلب . وفيه تبصرة

وتذكّرة لمن خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى .

ثانيا : أن الرسول ﷺ - وهو خير نساءه - يعلم ما هو أفضل

لهن لكنه ترك ذلك لاختيارهن .

حيث اخترن وهن يعلمن عظم ما اخترن .

وكانت حياتهن مع رسول الله ﷺ بل حياة الرسول معهن كما

قالت عائشة رضى الله عنها :

« لم يمتلئ جوف النبى عليه الصلاة والسلام شبعاً .

ولم يبيت شكوى إلى أحد .

وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى .

وإن كان ليظل جائعاً يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه

صيام يومه .

ولو شاء سال ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها .

ولقد كنت أبكى رحمة له مما أرى به ، وأمسح بيدي على بطنه

مما أرى به من الجوع .

وأقول : نفسى لك الفداء لو تبليت من الدنيا بما يقوتك .

فيقول : يا عائشة ما لى وللدنيا ، اخوانى من أولى العزم من

الرسول صبروا على ما هو أشد من هذا . فمضوا على حالهم

فقدّموا على ربهم فأكرم ما بهم ، وأجزل ثوابهم ، فأجِدنى أستحى

إن ترفهت فى معيشتى أن يُقصر بى غداً دونهم .

وما من شئ هو أحب إلى من اللحوق بإخوانى وأخلائى .

قالت : فما أقام بعد إلا شهراً حتى توفى صلوات الله وسلامه

عليه .

ثالثاً : إن نساء النبى ﷺ قد أُمِرْنَ أن يذكرن ما يتلى فى

بيوتهن من آيات الله والحكمة .

فماذا صنعت آيات الله فى زوجات النبى وهن يسمعن ما يتلى

من آيات الله ؟

وما ذا صنعت الحكمة فيهن وهن يبصرنها قولاً وعملاً في
حياة رسول الله ؟
عن أم ذرة وكانت تغشى عائشة قالت : بعث إليها ابن الزبير
بمال في غرارتين .

قالت : أراه ثمانين ومائة ألف .
فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس
فأمست وما عندها من ذلك درهم .
فلما أمست قالت : يا جارية هلمى فطرى .
فجاءتها بخبز وزيت .

فقالت لها أم ذرة أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا
بدرهم لحماً نفطر عليه ؟
فقالت لها : لا تُعنفيني لو كنت ذكّرتني لفعلت .
وعن عروة قال : لقد رايت عائشة تُقسم سبعين ألفاً وهي ترقع
درعها .

تلك قدوة عائشة - وقد جاءتها الدنيا طائعة - برسول الله ﷺ
لم تُبق لنفسها - ومعها جاريتها - درهماً واحداً تشتري به لحماً
تفطر عليه .

وقالت لجاريتها حين لامتها « لا تُعنفيني لو كنت ذكّرتني
لفعلت »

وأفطرت بخبز وزيت .
وذاك موقفها بين يدي الله وتأثير القرآن فيها .

عن القاسم قال : كنت إذا غدوت أبداً ببيت عائشة أسلم عليها .

فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ :

﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (الطور : ٢٧)

وتدعو وتبكي وترددها .

فقمت حتى مللت القيام فذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت

فإذا هي قائمة كما هي ، تصلى وتبكي ..

ولم يكن تأثير القرآن في عبادتها وانابتها لربها فحسب بل

كان له تأثيره في فقهها وبلاغتها .

عن عروة عن أبيه قال : ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن

ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب

ولا ينسب من عائشة رضى الله عنها .

كتبت عائشة إلى معاوية : « اما بعد فإن العبد إذا عمل بمعصية

الله عز وجل عاد حامده من الناس ذاماً » .

وعن ابراهيم عن عائشة رضى الله عنها قالت : إنكم لن تلقوا

الله بشئ خير لكم من قلة الذنوب فمن سره أن يسبق الدائب

المجتهد فليكن نفسه عن كثرة الذنوب » .

إن زوجات الرسول ﷺ خيرن فاخترن الله ورسوله والدار

الآخرة اخترن ذلك عن إيمان ورضى ويقين وهن يعرفن فضل ما

اخترنه فمع ما وسع الله من الرزق وأكثر من الخير لم يأخذن منه

شيئاً لأنفسهن .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت زينب بنت جحش هي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله عز وجل بالورع ولم أر امرأة أكثر خيراً وأكثر صدقة وأوصل للرحم وأبذل لنفسها في كل شيء يتقرب به إلى الله عز وجل من زينب .
وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لأزواجه : أولكن يتبعني أطولكن يداً .

قالت عائشة : فكنا إذا اجتمعنا بعد وفاء رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الحائط نتناول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش . وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا يداً . فعرفت أن النبي ﷺ أراد بطول اليد الصدقة .
وكانت امرأة صناعاً وكانت تعمل بيدها وتتصدق في سبيل الله عز وجل .

اخترن جميعهن وصدقن فيما اخترن فلم تستطع الدنيا وقد فتحت على المسلمين أن تغيرهن عما اخترن أو تبعدهن عما آثرن .
روى أحمد عن مصعب بن سعد : قال : قالت حفصة لعمر رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين اكتسيت ثوباً هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك .

فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير .

فقال : ساخا صمك إلى نفسك .

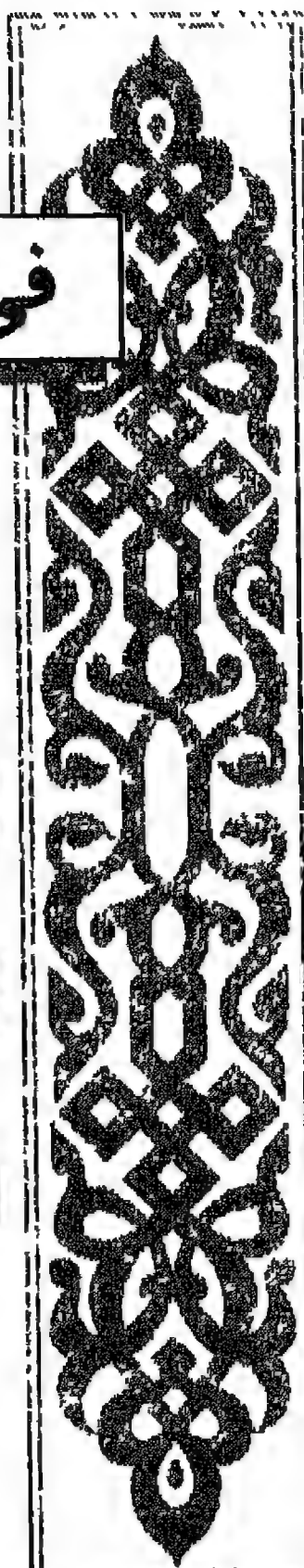
أما تذكرك ما كان رسول الله ﷺ يلقي من شدة العيش وكذلك أبو بكر ؟ فما زال يذكرها حتى أبكاها .

فقال لها : أما والله لا شباركنهما في مثل عيشهما الشديد لعل
أدرك عيشهما الرُخى .

إن حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَسْأَلُ عَمْرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَكْتَسِيَ
ثَوْبًا أَلِينًا مِنْ ثَوْبِهِ وَأَنْ يَأْكُلَ طَعَامًا أَطْيَبَ مِنْ طَعَامِهِ بَعْدَ أَنْ وَسَّعَ
اللهُ مِنَ الرِّزْقِ وَأَكْثَرَ مِنَ الْخَيْرِ فَخَاصَمَهَا إِلَى نَفْسِهَا فَخَصَمَهَا حِينَ
ذَكَرَهَا بِحَيَاتِهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْعِيشِ .
نَفُوسٌ اعْتَزَتْ بِرَبِّهَا فَأَعَزَّهَا اللهُ وَلَمْ تَسْتَطِعِ الدُّنْيَا بِفِتْنَتِهَا
وَزِينَتِهَا أَنْ تَصْرِفَهُمْ عَنْ زَهْدِهِمْ فِيهَا وَابْتِغَائِهِمْ مَرْضَاتِ اللهِ .

في روضة القرآن

الصديقة ينزل
الله فيها
قرآنا يتلى



١٧ - الصديقة ينزل الله فيها قرآناً يتلى :

حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا :
قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً
أقرع بين نسائه .

فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله معه .
فلما كانت غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع .
فخرج سهمى عليهن معه . فخرج بى رسول الله ﷺ .
قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق^(١) لم يهيجهن
اللحم فينقلن .

وكنتم إذا رحل لي بعيرى جلست في هودجى .
ثم يأتى القوم يرحلون لي ويحملوننى . فيأخذون بأسفل
الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله . ثم
يأخذون برأس البعير فينطلقون به .

قالت : فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجه قاشلا حتى
إذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل .
ثم أذن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتى .

(١) العلق : ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغذاء تريد أن طعامهن كان قليلا فهن
نحيقان غير بديئات .

وفى عنقى عَقْدُ لى فيه جَزْعُ ظَفَار^(١) ، فلما فَرَعْتُ انْسَلُّ من
عُنْقَى ولا أدرى
فلما رجعتُ إلى الرجل ذهبت التمسّه فى عنقى فلم أجده وقد
أخذ الناس فى الرحيل .

فرجعت إلى مكانى الذى ذهبتُ إليه فالتمسته حتى وجدته .
وجاء القومُ خلافى الذين كانوا يُرْحَلُونَ لى البعير وقد فرغوا
من رحلته .

فأخذوا الهودج وهم يظنون أنى فيه كما كنتُ أصنع .
فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشْكُوا انى فيه .
ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به .
فرجعت إلى العسكر وما فيه من داءٍ ولا مجيب . قد انطلق
الناس .

قالت : فَتَلَفُّتُ بِجِلْبَابِى ثم اضطجعت فى مكانى .
وعرفتُ أن لو قد افْتُقِدْتُ لَرَجِعَ إِلَى .
قالت: فو الله إنى لَمُضْطَجِعَةٌ إذ مرَّ صفوانُ بن المَعْطَلِ السُّلَمِىُّ .
وقد كان تَخْلُفُ عن العسكر لبعض حاجاته . فلم يَبِتْ مع
الناس .

فرأى سوادى ، فأقبل حتى وقف على .
وقد كان يرانى قَبْلَ أن يُضْرَبَ علينا الحجاب .

(١) الجزع : الخرز : وظفار اسم مدينة

فلما رَأَى قَالَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . ظَعِينَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، وَأَنَا
مُتَلَفَّةٌ فِي ثِيَابِي .

قَالَ مَا خَلَقَكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ؟

قَالَتْ : فَمَا كَلِمَتُهُ .

ثُمَّ قَرَّبَ الْبَعِيرَ فَقَالَ : ارْكَبِي وَاسْتَأْخِرْ عَنِّي .

قَالَتْ : فَرَكِبْتُ وَأَخَذَ بِرَأْسِ الْبَعِيرِ .

فَانْطَلَقَ سَرِيعًا يَطْلُبُ النَّاسَ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَكْنَا النَّاسَ وَمَا افْتَقَدْتُ
حَتَّى أَصْبَحْتُ وَنَزَلَ النَّاسُ .

فَلَمَّا اطْمَأَنَّنُوا طَلَعَ الرَّجُلُ يُقَوِّدُنِي .

فَقَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا . فَارْتَعَجَ (١) الْعَسْكَرُ ، وَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ
بشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَلَمْ أَلِثْ أَنْ اِشْتَكَيْتُ شَكْوَى شَدِيدَةً ،
وَلَا يَبْلُغُنِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ .

وَقَدْ انْتَهَى الْحَدِيثُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِلَى أَبَوَيَّ . لَا يَذْكُرُونَ
لِي مِنْهُ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا .

إِلَّا أَنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْضَ لُطْفِهِ بِي .

كُنْتُ إِذَا اِشْتَكَيْتُ رَحِمَنِي وَلَطَفَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِي فِي
شَكْوَايَ تِلْكَ .

فَانْكَرْتُ ذَلِكَ مِنْهُ .

(١) ارْتَعَجَ الْعَسْكَرُ : تَحَرَّكَ وَاضْطَرَبَ .

كان إذا دَخَلَ على وعندي أُمِّي تمرضني قال : « كيف تيكم » ؟
لا يزيد على ذلك

قالت : حتى وجدت في نفسي . فقلت : يا رسول الله - حين
رأيت ما رأيتُ من جفائه لي - لو أذنت لي فانتقلت إلى أُمِّي
فمرضتني ؟

قال : « لا عليك » .

قالت : فانتقلتُ إلى أُمِّي ولا أعلم بشيء مما كان .
حتى نَقِهْتُ من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة .
وكُنَّا قَوْمًا عَرَبًا ، ولا نَتَّخِذُ في بيوتنا هذه الكُنُفَ التي تتخذها
الاعاجم نعافها ونكرها إنما كنا نذهب في قُسَحِ المدينة .
وأما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن فخرجت ليلة
لبعض حاجتي ومعى أُمُّ مَسْطَحِ بنتُ أبي رُهم بن المطلب بن عبد
مناف . وكانت إنَّها بنتُ صَخْر بن عامر بن كعب بن سعيد بن تيم
خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

قالت : فوالله إنَّها لتمشي معي إذ عَثَرْتُ في مِرْطِها فقالت :
تَعَسَ مَسْطَحُ (ومسطح لقب ، واسمه عوف) .
قالت : قُلْتُ : بئسَ لَعَمْرُ الله ما قُلْتُ لرجل من المهاجرين قَدْ
شهد بَدْرًا .

قالت : أو ما بَلَغَكَ الخبر يا بنتَ أبي بكر ؟

قالت : قلتُ : وما الخبر ؟

فاخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك .

قالت : قلت : أو قد كان هذا ؟
 قالت : نعم ، والله لقد كان .
 قالت : فو الله ما قدرتُ على أن أقضى حاجتى ورجعتُ .
 فو الله ما زلتُ أبكى حتى ظننتُ أن البكاء سيصدع كبدى .
 قالت : وقلتُ لأمى : يغفر الله لك .
 تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئاً .
 قالت : أى بنىة خفّضى عليك الشأن .
 فو الله لقلماً كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا
 كثرن وكثر الناس عليها .
 قالت : وقد قام رسولُ الله فى الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك
 فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، ما بآل رجال
 يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمتُ منهم
 إلا خيراً » .
 ويقولون ذلك لرجل والله ما علمتُ منه إلا خيراً .
 وما يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى .
 قالت : وكان كبيرُ ذلك عند عبد الله بن أبى بن سؤل فى رجال
 من الخزرج مع الذى قال مسطح وحمّنة بنت جحش ، وذلك أن
 أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ . ولم تكن من
 نسائه امرأة تناصبنى فى المنزلة عنده غيرها .
 فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً .
 وأما حمّنة بنت جحش فاشاعات من ذلك ما اشاعت تُضادنى
 لأختها فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير :
يا رسول الله - إن يكونوا من الأوس نكفكهم وإن يكونوا من
إخواننا من الخزرج فممرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب
أعناقهم .

قالت : هاهم سعد بن عبادة - وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً
- فقال : كذبت ، لعمر الله لا نضرب أعناقهم .
أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج
ولو كانوا من قومك ما قلت هذا .

فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين .
قلت : وتثاور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من
الأوس والخزرج شر .

ونزل رسول الله ﷺ فدخلك على .
فدعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه وأسامة بن زيد
فاستشارهما .

فأما أسامة فاثني على خيراً وقاله ، ثم قال : يا رسول الله
اهلك ولا نعلم إلا خيراً ، ولا تعلم منهم إلا خيراً . وهذا الكذب
والباطل وأما علي فإنه قال : يا رسول الله ، إن النساء لكثير ،
وإنك لقادر علي أن تستخلف . وسل الجارية فإنها ستصدقك .
فدعا رسول الله ﷺ بريرة ليسألها .

قالت : فقام إليها علي بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً
ويقول : اصدقي رسول الله .

قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً .

وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أنى كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله .

قالت : ثم دخل رسول الله ﷺ وعندي أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار . وأنا أبكى وهى تبكى معى .

فجلس فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : « يا عائشة ، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتقى الله فإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده » .

قالت : فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئاً ، وانتظرت أبوى أن يجيئا عنى رسول الله ﷺ فلم يتكلما قالت : وأيم الله لانا كنت أحقر فى نفسى وأصغر شأننا من أن ينزل الله فى قرآنا يقرأ به فى المساجد ويصلى به .

ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله فى نومه شيئاً يكذب به الله عنى لما يعلم من برأتى ، أو يخبر خبراً .

فأما قرآن ينزل فى الله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : قلما لم أر أبوى يتكلمان قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ .

قالت : فقالا والله ما ندرى بماذا نجيبه .

قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام .

قالت : فلما أن استعجما على استعبرت فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول

الناس - والله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوني .

قالت : ثم التمسيت اسم يعقوب فما أذكره فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف « فصبرٌ جميلٌ والله المستعان على ما تصفون »
قالت : هو الله ما برح رسول الله ﷺ مَجْلِسُهُ حَتَّى تَغْشَاهُ مِنْ
الله ما كان يَتَغَشَّاهُ ، فَسَجَّى بِثَوْبِهِ ، وَوَضَعَتْ لَهُ وَسَادَةً مِنْ أَدَمَ
تحت رأسه .

فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت هو الله ما فَرَعْتُ وما بَالَيْتُ .
قد عرفت أني بريئة ، وإن الله عز وجل غَيْرُ ظَالِمٍ .
وأما أبواي هو الذي نفس عائشة بيده ما سُرِّي عن رسول الله ﷺ
حَتَّى ظَنَنْتُ لَتُخْرِجَنَّهُ أَنْفُسُهُمَا فَرَقًا مِنْ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ اللَّهِ تَحْقِيقُ
ما قال الناس .

قالت : ثم سُرِّي عن رسول الله ﷺ فجلس وإنه يتحدر منه مثلُ
الجمان في يومٍ شات .

وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ويقول «
أبشرى يا عائشة فقد أنزل الله براءتك »
قالت : وكنت أشد ما كنت غضباً .

فقال لي أبواي : قومي إليه .
فقلت : لا والله لا أقوم إليه ولا أحمدُه ولا أحمدُكما ولكن أحمد
الله الذي أنزل برائتي ، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه .
ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل

الله عليه من القرآن فى ذلك ثم أمر بمسطح بن أثاثه وحسان بن ثابت وحمئة بنت جحش - وكانوا ممن أفصح بالفاحشة - فضربوا حنهم .

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول : أما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً . وأما اختها حمئة بنت جحش فهلكت فيمن هلك فأنزل الله عز وجل ﴿ إن الذين جاؤوا بالافك عصبه منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ (النور : ١١) عشر آيات ^(١) فى براءة عائشة رضى الله عنها .

فلما أنزل الله تعالى هذه فى براءتى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه - وكان ينفق على مسطح ابن أثاثه لقربائه منه وفقره : والله لا انفق على مسطح شيئاً أبداً بعدما قال لعائشة رضى الله عنها .

فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور : ٢٢)

فقال أبو بكر رضى الله عنه : بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى . فرجع إلى مسطح النفقة التى كان يجرى عليه . وقال : والله

لا أنزعها منه أبدا .

إن الذين جاؤوا بالافك لم يكونوا يقصدون رمي عائشة وجديها وإنما يقصدون الرسالة والرسول . يقصدون الكيد للإسلام والاذى لرسول الله ﷺ .

وهم قد ظنوا أنهم بذلك قد اختاروا مقتلا يبطلون به ما جاء من الحق وقد غاب عنهم أن الله جافظٌ بدينه وأنه بما يعملون مُحيط . لقد ظلت المدينة شهراً كاملاً ترجف بما تقولوه وأشاعوه . والطاهرة الطيبة المبرأة لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم وهي تُرمى في أعز ما تملك من شرف وطهر وحب لرسول الله ووفاء . ولقد شاء الله أن يتلبث الوحي شهراً كاملاً وهي تلاقى ما تلاقيه وتقول لأُمها في حزن وأسى : سبحان الله . وقد تحدث الناس بهذا ؟

وقد علم به أبى ؟ فتجيبها أمها : نعم .
ورسول الله ﷺ ؟ فتجيبها أمها نعم كذلك .
الأب والأم ورسول الله ﷺ جميعاً قد علموا .
وأولئك الذين يُرجى منهم أن يردُّوا عنها سهام الافك والكيد فلا يستطيعون وهي فتاة صغيرة في نحو السادسة عشر من عمرها .

وحين قال لها الرسول ﷺ : إن كنت ألت بذنب فاستغفري
الله .. »

استجارت بأبيها وقالت : أجب عنى رسول الله فيما قال . فقال :

والله ما أدري ما أقول لرسول الله .

فَقَالَتْ لِأَمَتِهَا : أَجَبِي رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا قَالَ . قَالَتْ : وَاللَّهِ

ما أدري ما أقول لرسول الله .

والرسول ﷺ لا يستطيع أن يقول إلا بما يوحى إليه .

فَأَوْتِ إِلَى رَبِّهَا وَقَالَتْ مَا قَالَه يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « فَصَبِرْ

جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعِينُ عَلَى مَا تَصْنَفُونَ » إِنَّ الاحْتِمَالَ الَّذِي كَانَتْ

عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ لِإِظْهَارِ بَرَاءَتِهَا هُوَ أَنْ يَرَى

الرَّسُولَ ﷺ فِي شَأْنِهَا رُؤْيَا أَوْ يُخْبِرَ بِخَبَرٍ .

أَمَّا أَنْ يَنْزِلَ فِي شَأْنِهَا قُرْآنٌ يَتْلَى يَقْرَأُ بِهِ فِي الْمَسَاجِدِ وَيُصَلِّي

بِهِ فَذَلِكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَخْطئه .

لِذَلِكَ عِنْدَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي شَأْنِهَا قُرْآنًا لَهَجْتَ بِالْحَمْدِ لِرَبِّهَا وَلَمْ

تَنْتَقِ بِحَمْدِ أَحَدٍ سِوَاهُ .

وَالرَّسُولُ ﷺ يَقْدِرُ ذَلِكَ مِنْهَا غَايَةَ التَّقْدِيرِ .

لَا لِأَنَّهَا وَضَعَتْ الْأُمُورَ فِي مَوْضِعِهَا بِحَسَبِ وَهْيِ تَحْمَدِ رَبِّهَا عَلَى

بَرَاءَتِهَا بَلْ لِأَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ وَحْدَهُ هُوَ الْجَدِيرُ بِأَنْ يَكُونَ فِي هَذَا الْمَقَامِ .

وَهِيَ بِحَمْدِهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ تَفِي كُلَّ الْوَفَاءِ لِلرَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَغِيبُ

عَنْهَا أَنَّهُ الْمَوْحَى إِلَيْهِ بِخَبَرِ السَّمَاءِ وَأَنَّ فِي إِعْلَانِ بَرَاءَتِهَا مِنَ اللَّهِ

إِزْهَاقًا لِكُلِّ بَاطِلٍ دُبُرٍ لَدَيْنَ اللَّهِ فِي الْخَفَاءِ .

إِنَّ الْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي سُورَةِ النُّورِ لَمْ تَكُنْ تَحْقِيقًا لَطَهَرِ

الصَّدِيقَةَ وَبَرَاءَتِهَا فَحَسَبَ بَلْ كَانَتْ بَيَانًا وَتَشْرِيعًا وَصِيَانَةً

لِلْأَعْرَاضِ وَرَدْعًا لِكُلِّ تَقْوَلٍ بِبَاطِلٍ أَوْ سَعَى لِفُسَادٍ .

فكانت الصديقة مباركة في محنتها مباركة في براءتها .
والقرآن يتلى إلى يوم الدين ليكون تبصرة وذكرى للمؤمنين
 وإنذاراً وردعاً للظالمين المفسدين .

وكم كان لآل أبي بكر في الإسلام من بركات .
روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجنا مع
رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات
الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التماسه ، وأقام
الناس معه وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء .
فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام .
فقال : حَيْسَتْ رسول الله ﷺ والناس ، وليسوا على ماء ،
وليس معهم ماء .

قالت عائشة : فعاتبني أبو بكر . وقال ما شاء الله أن يقول ،
وجعل يطعنني بيده في خاصرتي . ولا يمنعني من التحرك إلا
مكان رسول الله ﷺ على فخذي .
فقام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء ، فأنزل الله آية
التيمم .

فقال أسيد بن حضير : « ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر »
قالت : فبعتنا البعير الذي كنت عليه فإذا العقد تحته .
إن بيوت النبي قد تربت كلها على مادبة القرآن وعملت بوحيه
ومن تدبر أمر زواجه بنسائه وعرف حياتهن وما كن عليه عرف
أن للوحى في أمرهن شأناً أي شأن - وهن يذكرن ما يتلى في

بيوتهن من آيات الله والحكمة .

تَحْسَدَانِيَّتْ يَوْمَنَا أَمْ، الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ: يَزِينُ رَضَى اللهُ عَنْهَا
وتفاخرتا . فَبِمَ تَفَاخَرْتَا ؟

قالت زينب رضى الله عنها : أنا التى زوجنى ربى .. وهى تعنى
قول الله عز وجل ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾
(الاحزاب : ٣٧)

فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضَى اللهُ عَنْهَا : وَأَنَا الَّتِي بَرَّأَنِي رَبِّي نَزَلَتْ
براءتى من السماء فى القرآن فَسَلَّمْتُ لَهَا زَيْنَبُ ثُمَّ قَالَتْ : كَيْفَ
قُلْتَ حِينَ رَكِبْتَ رَاحِلَةَ صَفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِ .

قَالَتْ عَائِشَةُ : قُلْتَ حَسْبِيَ اللهُ وَنَعَمَ الْوَكِيلُ .
قَالَتْ زَيْنَبُ : قُلْتَ كَلِمَةً الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ
قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعَمُ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣)
فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ ﴾

(آل عمران : ١٧٣ - ١٧٤)

هل رأيت فى الحوار شيئاً بعيداً عن القرآن وفقه القرآن .
وهل رأيت فيما كان بين عائشة وزينب إلا ما تطيب به النفس
ويعظم الود وينشرح الصدر وكلتاها تذكر نعمة الله عليها وتسند
الفضل لربها لا لأحدٍ سواه . إن للقرآن الكريم فى حياتهن حياة
أى حياة .

وهن يقرانه ويرونه عملاً وخلقاً فى رسول الله حيث يتلقاه

وحياً نازلاً من السماء .

إن زوجات الرسول ﷺ يرين الرسول فى القرآن ويرين القرآن فى رسول الله يرينه فى خاصة نفسه وفى علاقته بغيره .

يرينه فى حربه وسلمه وفيمن رباهم من صحبه كما يرى اثر القرآن فيمن آمن به واهتدى بهداه .

إنه القرآن حصن حصين للرسالة والرسول .

به صارت رسالة الرسل جميعاً مصونة من كيد الكائدين وتحريف المبطلين .

وبه يعرف الناس جميعاً كيف يقتدون بهداهم إلى يوم الدين .

سبحان من حفظه وحفظ به الرسالة إلى يوم الدين .

to: www.al-mostafa.com

to: www.al-mostafa.com

في روضة القرآن

حقائق ونتائج

١٩ - حقائق ونتائج :

الرسول في القرآن الكريم حقيقة لا تغيب .

وحيث كان القرآن الكريم خلقاً له عليه الصلاة والسلام فانت تراه بالقرآن كيف كان ، فلا يصعب عليك أن تتخذة أسوة في كل شأن .

والقرآن الكريم وهو يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يجعله أمامك - نوراً هادياً - حتى لا تضل السبيل : ﴿ وَأَنْتَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ (٥٣) ﴿ (الشورى : ٥٢ ٥٣)
وَأَنْتَ تَحِبُّ اللَّهُ يَرِيكَ اللَّهُ بِهِ كَيْفَ تَحِبُّ ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران : ٣١)

وَأَنْتَ تَعْبُدُ اللَّهَ يَرْشِدُكَ بِهِ ﷺ كَيْفَ تَعْبُدُ . فَتَصَلِي كَمَا كَانَ يَصَلِي وَتَحُجُّ كَمَا أَرَاكَ كَيْفَ تَحُجُّ . وَتَصُومُ - وَأَنْتَ تَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلُ بِهِ - كَمَا عَلَّمَكَ الرَّسُولُ كَيْفَ تَصُومُ وَأَنْتَ تَعِيشُ بَيْنَ أَهْلِكَ يَعْلَمُكَ كَيْفَ تَكُونُ خَيْرًا لِأَهْلِكَ .

وَأَنْتَ تَتَقَلَّبُ فِي شَأْنِ الْحَيَاةِ تَتَشَدُّ رِزْقَ رَبِّكَ يَرِيكَ كَسْبًا وَعَمَلًا كَيْفَ تَكُونُ ثَقَّتَكَ بِرَبِّكَ وَرِضَاكَ عَنْ خَالِقِكَ فِي عَسْرِكَ

ويسرك وصحتك ومرضك وغناك وفقرك فتتخذ من صبره وشكره - وأنت تأخذ بالأسباب - أسوة فى صبرك وشكرك وأنت تقتدى به صلوات الله وسلامه عليه ترى علم الخالق بخلقه فى واقع .

حيث أسر إلى بعض أزواجه حديثاً ﴿ فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (التحریم : ٣)

ترى ذلك فى وقائع وأحداث من حياة الرسول فى القرآن الكريم .

فيطمئن قلبك بذكر ربك وتنعم بخشيته وتقواه .
وتتعلم منه صلوات الله عليه كيف تعامل الناس إن هم أخطأوا فتعينهم على تجاوز الخطأ ولا تكن عوناً للشيطان عليهم .
وقائع وأحداث فى القرآن الكريم ترى الرسول محورها وتراها لا تقف عند زمن وقوعها بل تمتد تبصرتها وعبرتها للزمن كله .

وأنت تقر القرآن الكريم فى غزوات الرسول وجهاده ترى كيف كان خلقه فى الجهاد وكيف كان إعدادة للنفوس وكيف كان عدله ووفائه مع من غدر به أو أساء إليه . فتأخذ للنصر أسبابه وأنت تعلم - بتعليمه وتزكيتة - أنك لن تنصر الله فى معركة حتى تنصره فى نفسك بتغليب أمره على هواك وأنت ما لم تنتصر بفضلك فلن تغلب بقوتك . وأن النصر من عند الله لا من أحد

سواه. فينعم الناس بما في الجهاد من فضل وهم يرون ثمرته في إقامة العدل ودحض الفساد والظلم .

تقرأ القرآن عن غزوة بدر في سورة الأنفال فتجد نفسك مع رسول الله ﷺ منذ أخرجه ربه من بيته بالحق إلى أن عاد منتصرا وبيده أسرى بدر وقد ناداه ربه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٧٠ : الانفال)

فتعلم أن للجهاد غايته وللنصر فريضته وللتمكنين حكمته .

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج : ٤١)
فغاية الجهاد إعلاء كلمة الله وفي إعلاء كلمة الله سلام وأمن لجميع الخلق وفريضة النصر : إقامة لفرائض الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وتقدير لعاقبة الأمور ومن مكّن الله لهم في الأرض واستخلفهم - هم بهذا التمكين ممتحنون ومختبرون

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس : ١٤)

فتتعلم وأنت تصاحب الرسول ﷺ في غزوة بدر وما وقع فيها دروسا في حقائق الأشياء تبقى للناس حياة ما بقيت الحياة .

وتقرأ فيما نزل من القرآن في غزوة أحد ستين آية من سورة آل عمران .

وترى الرسول ﷺ بين أصحابه منذ خرج من منزله إلى ميدان أحد عند جبل قال فيه ﷺ « جبل يحبنا ونحبه » مع أنه قد أصيب عنده وشج وجهه وكسرت رباعيته وتعرف ما وقع فيه من أحداث لها في تربية النفوس وإعدادها شأن أي شأن وكفاك أن تقرأ ما قال الله في شأن رسوله ﷺ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ (آل عمران : ١٤٤) وذلك عندما وقع الصراخ بأن محمداً قد قتل .

فقال من قال « لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم » .

فقال أنس بن الفضل عم أنس بن مالك « يا قوم إن كان قد قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت . وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله قاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه » ثم قال « اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء ثم سلك سيفه وقاتل حتى قتل » .

بل كفاك أن تعرف الحكمة فيما أصاب المؤمنين وما وقع بهم . وأن ما أصابهم كان بمخالفتهم النبي ﷺ حيث ترك الرماة موقعهم الذى أمرهم الرسول ﷺ ألا يبرحوا عنه هزم المسلمون أو انتصروا .

وقد عرفهم الله سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب المخالفة

وذكر ذلك فى كتابه ليكون عبرة لأولى الأبصار فى كل زمان
ومكان حيث قال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ
بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ
مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ
عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٥٢)

ولم تكن المعصية والمخالفة منهم جميعا وإنما كانت من الرماة
الذين رأوا مقدمات النصر وانكسار العدو فتركوا الثغرة التى هم
عليها فانقض العدو عليهم ووقع البلاء بهم وفى اسناد المعصية
إليهم دون تحديد بمن عصى منهم فيه دلالة على ما يجب أن
يكونوا عليه جميعا من حسن الاستجابة لله وللرسول والاحتراس
من المعصية من أى واحد منهم فإن ذنوب الجند أخوف عليهم من
عدوهم فليأخذوا حذرهم من معاصيهم أكثر مما يأخذون حذرهم
من عدوهم .

فإن ما وقع بهم كان من عند انفسهم لا من كيد عدوهم .

كما قال الله عز وجل : ﴿ قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾

(آل عمران : ١٦٥)

وقع ذلك بهم وفيهم رسول الله ﷺ وقد أصابه ما أصابه ليعلم
أن سنن الله لا تجامل ولا تحابى وأن ما عند الله لا يطلب إلا بطاعته
وإذا كان الله قد ابتلى المؤمنين بذلك وقد عفا عنهم وأعانهم على
متابعة عدوهم . فقد كان فى ذلك درس لهم ولمن جاء بعدهم إلى

يوم الدين « والله ذو فضل على المؤمنين » وقد نصرهم بعد ذلك
فى مواطن كثيرة بعد تمحيص بالبلاء وابتلاء بالعطاء .

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ
شُهَدَاءَ ﴾ (آل عمران : ١٤٠)

وقد رأى المسلمون من رسولهم وهو يناديهم « إلتى عباد الله »
سكينة وثباتا : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي
أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لَكِيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران : ١٥٣)

« تُصْعِدُونَ » بِضَمِّ التَّاء ، وكسر العين : بمعنى السير والهرب
فى مستوى الأرض ومهابطها وبفتح التاء والعين : من الصعود
فى الجبل والشرف .

« ولا تلوون على أحد » أى لا ترجعون لأحد من شدة الفرار .
« والرسول يدعوكم فى اخراكم » وقد خلفتموه وراء ظهوركم
يدعوكم إلى ترك الفرار من الأعداء .

« فاتابكم غمًا بغم » جزاكم بفراركم عنه عليه السلام غمًا بما
نالهم من القتل والهزيمة « بغم » أى عَقِبَ غَمٍّ أى كربًا بعد كرب .
قَتْلَ من قتل من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم ، وما وقع فى
انفسكم من قول قُتِلَ نبيكم .

« لكيلا تأسوا على ما فاتكم » أى على ما فاتكم من الغنيمة
والظفر بعدوكم « ولا ما أصابكم » من الجراح والقتل . « والله

خبر بما تعملون .

وأنت تقرأ القرآن لا ترى شيئاً مما وقع يغيب عنك .

بل ترى بالقرآن حقائق حاضرة باقية .

وترى الرسول ﷺ حاضراً يُقتدى به ويُهتدى بهداه .

وترى الذين لم يندمل جراحاتهم في أحد يستجيّبون لرسول

الله ﷺ حين دعاهم لمطابقة العدو في « حمراء الاسد » على ما كان

بهم من الالم والجراح .

كانت غزوة أحد يوم السبت وعزوة حمراء الاسد في اليوم

التالى يوم الاحد لست عشرة مضت من شوال على رأس اثنتين

وثلاثين شهراً من الهجرة .

لما صلى رسول الله ﷺ الصبح أمر بلالا أن ينادى أن رسول

الله يأمركم بطلب العدو وألا يخرج أحدٌ إلا من خرج معنا أمس

يعنى من شهد أحداً .

فلم يشهد غزوة « حمراء الاسد » إلا من شهدا أحداً عدا جابر

ابن عبد الله فإنه قال لرسول الله ﷺ « إن أبى خلفنى يوم أحد على

أخوات لى سبع فلم أشهد الحرب ، فأذن لى أن أسير معك فأذن

له رسول الله ﷺ ، فلم يخرج معه أحدٌ لم يشهد القتال غيرهُ .

وكان لهذه الغزوة أثرها في نفوس المشركين إذ فروا هاربين

بعد أن كانوا قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله أصحابه وقالوا :

أصبنا محمداً وأصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن

نستأصلهم ؟

ولكن الله القى في قلوبهم الرعب عندما عرفوا أن رسول الله

يطلبهم .

وقد قال الرسول ﷺ لطلحة : يا طلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة .

وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا ابن الخطاب إن قريشا لن ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن .

استجاب الصحابة الكرام لرسول الله ﷺ حين دعاهم وكان الرسول ﷺ مجروحاً وفي وجهه أثر الحلقتين . وكان من صحابته من اشتد جراحه فلما اذن مؤذن رسول الله بالخروج استجاب للنداء ولم يقعد .

كان في غزوة أحد اخوان من بني عبد الاشهل وكانا جريحين : فلما اذن مؤذن رسول الله بالخروج في طلب العدو . قال احدهما لآخيه اتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ والله ما لنا دابة نركبها .

وما بنا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله ﷺ . قال : وكنت أيسر جراحاً من أخى : فكان إذا غلب حملته . حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) ﴾ (آل عمران : ١٧٢ - ١٧٤)

لم يستطع من توعدوهم بالجموع وخوفهم بكثرة الأعداء أن يفتوا في عضدهم أو يثبطوا من عزمهم بل توكلوا على الله واستعانوا به .

وقد أقام رسول الله بحمراء الأسد الاثنيين والثلاثاء والاربعاء . وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى تُرى من المكان البعيد .

وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت الله بذلك عدوهم ومن عجيب ما وقع في حمراء الأسد أن رسول الله ﷺ ظفر بأبي عزة الشاعر الذي من عليه حين أسر ببدر من غير فداء لأجل بناته وأخذ عليه عهداً ألا يُقاتله ولا يكثر عليه جمعاً ولا يظاهر عليه أحداً . من الرسول عليه وعاهده وقال في رسول الله شعراً يذكر فيه ذلك .

لكن أبا عزة نقض العهد وخرج مع قريش في أحد وصار يستنفر الناس ويحرضهم على قتال رسول الله ﷺ بأشعاره . فطلب الرسول ﷺ ألا يفلت من أسر فأسر .

فقال : يا محمد أقلني ومن على ودعني لبناتي واعطيك عهداً ألا أعود لمثل ذلك .

فقال رسول الله ﷺ : لا والله . لا تمسح عارضيك بمكة تجلس عند الحجر تقول : خدعت محمداً . اضرب يا زيد عنقه « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فضرب زيد عنقه .

وقائع وأحداث تتلى على الناس في آيات . يراها مَنْ يراها دون تدبير أنها وقائع ماضية . ولو احسن التدبير لعرف أنها حقائق هادية تُعرف من خلالها سنن الله الباقية .

حقائق بالقرآن باقية تستنير بها النفوس وتُحيا رأكشة وهي محفوظة للتبصرة والذكرى . يستبصر بها كلُّ عبد منيب . كما يُستبصر بما في السماء من ضياء ونور .

فتبارك من حفظ للنفوس ذكرها وهدايتها كما حفظ للحياة نورها وضياؤها وجعل في ذلك كله تبصرة وهداية للإنسان ودعوة لشكر نعمة ربه وذكره .

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا
(٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا
(٦٢) ﴾ (الفرقان : ٦١ - ٦٢)

حقائق مسطرة في الذكر المحفوظ . آياته تتأخى مع آيات الله في الأفاق وفي الانفس في دعوة الإنسان إلى الحق الذي تقوم عليه السموات والأرض .

فلا تغيب هذه أو تلك عن تبصرته وتذكرته ومنفعته في ليل أو نهار حقائق للإنسان ومن أجل الإنسان .

يقرؤها ويسمعها ويبصرها وتمتزج حياته بها في يسر لا حرج فيه وله من الاسوة والقودة ما يغنيه ويكفيه .

وحيث نتدبر القرآن ونعمل بمقتضاه نرى الرسول ﷺ حاضرا

فيه نراه شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا .
نراه حاضرا فى كل آية ، تاليا لها ، مستمسكا بها متبعها
لهدايتها مبينا بسنته مقاصدها وحكمتها .

نراه ﷺ موصولا بالقرآن فى كل موطن من موطن نزوله وفى
كل لحظة من لحظات حضوره .

لا ينفك عنه مبلغا ومبشرا ونذيرا .
قد امتزج به امتزاج روح بروح ونور بنور دون توقف لمدته أو
اطفاء لنوره .

إن نطق ﷺ فبالوحى - لا بالهوى - ينطق .
وإن حكم فيما أنزل الله يحكم .
والذين يؤمنون بالله لا يغييب عنهم - كيف حكم رسول الله -
وهم يحكمون بما أنزل الله . ترى الرسول حاضرا فى القرآن
الكريم لا تخفى شمائله .

ومن صاحب القرآن نعم بصحبته وظفر بشفاعته .
وليس حضور الرسول ﷺ فى القرآن مجرد تصور يمحى مع
الزمن بتصور آخر .

ولما هى الحقيقة التى حفظت للناس بحفظ القرآن وبقيت
موصولة بالرحمن الذى علم القرآن وخلق الإنسان .
فلا رحمة تُرجى ولا هداية تطلب بغير تقى واتباع للقرآن ومن
أنزل عليه القرآن .

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٥٥)

(الانعام : ١٥٥)

﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٥٨) ﴿ (الاعراف : ١٥٨)

بذلك يكون الفوز والفلاح فى الآخرة والأولى وبغير ذلك

لا يكون

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٥٧) ﴿ (الاعراف : ١٥٧)

والقرآن الكريم يعطينا عليه من الله وملائكته صلاة ورحمة وتعظيما . ومن المؤمنين - وهم يأترون بأمر الله - صلاة على النبى دائما وتسليما .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) ﴿ (الأحزاب : ٥٦)

فهرس

الرسول في القرآن الكريم

الصفحة

٣	١ - تمهيد
٧	٢ - الرسول في القرآن
١١	٣ - القرآن الكريم يصف لنا الروح الأمين
١٩	٤ - القرآن كأنما نزل الآن
٢٧	٥ - دلالة قول الله « قد سمع الله قول التي تجادلك ..
٣٥	٦ - الرسول مبلّغ عن ربّه
٣٩	٧ - والله يعصمك من الناس
٤١	٨ - حفظ ومؤانسة
٥٥	٩ - ثبات وقوة
٧١	١٠ - تعهد ومثابرة
٧٧	١١ - جهاد لا ينقطع
٨٧	١٢ - دين واحد
٩١	١٣ - معجزة باقية
٩٣	١٤ - مع الرسول في القرآن
١٠٣	١٥ - الرسول في أهل بيته
١٢٣	١٦ - آيات الله والحكمة تتلى في بيوت النبي
١٣٣	١٧ - الصديقة يُنزل الله فيها قرآنا يتلى
١٤٩	١٨ - حقائق ونتائج

رقم الإيداع ١٦٦٧ / ٩٨

الترقيم الدولى

I. S. B. N.

977 - 08 - 0705 - 2

هذا الكتاب

ترى الرسول ﷺ فى كل آية ولا

غربة أن تراه وأنت تستحضر هذه الصلة بين من

نزل القرآن ومن نزل به ومن نُزلَ عليه . ترى رسول الله ﷺ

وهو يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وجبريل يقرئه فيتبع قراءته فى

كل كلمة فلا يغيب عنك حضور جبريل عليه السلام كما لا يغيب حضور

الرسول ﷺ فى كل آية من آيات القرآن الكريم وهذا الاستحضار لازم لمن أراد

أن يتدبر القرآن . لأنه الإعجاز الذى يعرف به كيف حفظ القرآن وكيف تلقاه

الرسول ﷺ ولم يكن يدرى من قبل ما الكتاب ولا الإيمان وما كان يتلو من قبله من

كتاب ولا يخطه بيمينه .

والكتاب يصطفى للقارئ معانى استلهمناها من القرآن الكريم فى وصف

جبريل الروح الأمين وكيف بلغ الرسول عن ربه وهو المعصوم من الناس فبات

ﷺ فى ثبات وقوة وجهاد لا ينقطع وبقي معه وبعده القرآن الكريم معجزة

قاهرة وباقية . وكما نقرأ ونعيش مع الرسول فى نشاته وتربيته

وبين أهله وهم يتلون كتاب الله الذى لا يأتیه الباطل من بين

يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

To: www.al-mostafa.com